نبراس

رواية

نبراس

حوراء السيد

للتواصل مع الكاتبة :

Instagram : h_alsayeed

Twitter : h_alsayeed

إهداء ..

تناثرتْ أحرُفي على ثنايا أسطُري

وبتُّ حائرةً إلى مَن أُهدي هذا الكتاب

فأحبابي كُثرٌ ..ولكنَّ من أحبتني بصدقٍ هي ..

أمي

مدخل

الحب الحقيقي هو ما يدفعنا لأن نبتسم على الرغم منا .. مهما كانت ذكرى هذه الحب القاسية ، مهما كانت حزينة ومرة .. وكيفما انتهى هذا الحب .. يبقى الحب هو ما يضحكنا وما يجعلنا نبتسم يعد التئام جراحنا وعلى الرغم من الندوب ..

أثير عبدالله النشمي

المقدمة

لطالمـــا حلمـــتُ وحلمـــتُ وعلمـــتُ بـــأن الأحـــلام تبقـــى أحـــلام ، ففـــي كـــل مـــرة أحلـــم حلمًـــا وفـــي نهايـــة لا أراه يتحقـــق ، هـــل الأحـــلام تخـــدع كالبشـــر أيضًـــا ؟! ولكـــنِ لـــن أيـــأس وســـأقف أمـــام مـــن يعارضـــني وســـأحقق أحلامـــي حتـــى لـــو كانت سراب !

نعم ! سأحققها كلها

سأحلمُ وأحلم وسأحقق أحلامي ..

الفصل الأول ..

أمي .. أعلم بأنك بعيدةٌ عني ولكني لا أعلم أن كنتِ تشتاقين إليّ مثلما أشتاقُ أنا إليكِ ، أتعلمين يا أمي بأني قد بلغتُ السابعة عشر اليوم و بدأتُ أنسى ملامحكِ ، وكانت أمنيتي في كل سنة هي أن أراكِ وأتذكركِ ولكن تتلاشى الأماني كالمعتاد !

أبي .. ما ذنبنا نحن ؟ نحرم من حنان والدتنا من أجل راحتك ! أي منطقٍ هذا ! أبي أنت لا تعلم كم نتمنى العثور على والدتنا .. أبي أنت لم تفهم بعد لما نتمزق لغيابها .. أبي أنت لم تشعر بما نشعره في رحيلها ولم تحس بما نحسه فأرجوك عد لنا والدتنا .. لأختصر وأقول بأنك لم تعش في جو أسري لطيف لكي تفهم وتشعر وتحس بما نحسه بفقدان والدتنا

الألوان تزين حياتنا وأمي هي زينة الحياة كلها .. بالأحمر لونت حياتنا بالحب وبالأبيض أضافت الأمل لحياتنا ومن دونها لن تكتمل ألوان حياتنا

الأزرق .. كم أحب هذا اللون فهو يبعث لنفسي الطمأنينة والراحة ، والآن أنا أردتي الزيّ المدرسي باللون الأزرق لأستعد للذهاب إلى مدرستي ولألتقي بزميلاتي الذي جمعت معهن أحلى اللحظات والذكريات .

مدرستي ؟ الآن أنا في نهاية المطاف يا مدرستي الحبيبة .. كيف لي أن أودعك بلا دموع ؟ بعد ثلاث شهور لن أستيقظ باكرًا لأتناول

الإفطار ولن أستمع لنصائح أخي بعدها ولن أسمع ضحكات صديقاتي ولن ألتقط مع زميلاتي أجمل الذكريات ، كم سأشتاق للثانوية ..

أوقفني أخي – سعد – وملئ أقداحي بفيض نصائحه واستودعني من بعدها ، ذهبت للمدرسة واستقبلوني صديقاتي وجلسنا في الساحة الخلفية للمدرسة نستمع أحلى الأحداث التي جرت في حياتنا وتفرقنا لصفوفنا حينما دق الجرس ، وكالعادة تأتي - آلاء - والحزن يحتويها والدموع تغرقها : ما خطبكِ ؟

- أبي يا نبراس !
- قلت بغضب : ومتى سيكف أبوكِ عن قسوتهِ هذه !
- تبذل أمي الجهد لإرضائه ولكنه لا يتقبل شيءً ، تطبخ له ألذ الطبخات وتحضر له أثمن الملابس وتعمل ليلاً ونهارًا لتكسب النقود وتشتري بها أجمل الهدايا ولا يقبل شيءً
- لا بأس عزيزتي في كل منزل تحدث تلك المشاكل
- نعم تحدث مشاكل ولكن ليس لعام أو عامان أو بالتوالي !
- ولكن الشيء المحير هو أن والدكِ لا يستطيع تأمين نقود لكم ويريد أطفال أيضًا !
- أتعلمين عندما ولدت أمي - أمير- كرهه أبي لمجرد أنه معاق ومصاب بمرض القلب ، وحينما ولدت أنا وعلمت كل شي أصبحت له أختًا وصديقة ولم أفارقه أبدًا وحاولتُ جاهدةً أن أسعده وأرضيه وأعوضه عما فقده من أبي فهو من طفولته لم يمسح أبي دمعته أو يلعب معه كبقية الأطفال

لم أرى يومًا آلاء مبتهجًا كبقية الفتيات ، فهي دائما ما تحاول أن تسعد الآخرين وأن ترضيهم ولكنها لا تسعد نفسها أبدًا

يتعبني الحديث عن ماضي أمير القاسي ، فأنا لا أتحمل أن أسمع ما يحزنه أو يضيق صدره

أخرجت آلاء من حقيبتها ورقة وأعطتها لي : أنها من أمير

ابتسمت شاكرةً لها ونظرت للورقة ، كُتبت فيها بخط أنيق (كل عام وأنتي بخير صغيرتي .. وفي هذا العام بالتحديد سنفك أغلال الحرمان وسيجمعنا سقف واحد .. أحبك)

كم أحببت هذا الشاب .. أحببته لأني رأيت الرجولة فيه .. لأني وجدت فيه قلب ينبض بحب .. لأني شعرت بروحه الجميلة التي تضحك رغم الحزن فيها ! أحببته كثيرًا وأحبني أعماق حبي له ..

بعد المدرسة تناولت وجبة الغداء مع أخي سعد وحكيت له ما جرى لي اليوم ولكني لم أخاطبه عن أمير مطلقًا ولم أخبره بزيارتي له المتكررة فأخاف لو أنه يحرمني من قربه وحنانه

- أ أنتي مشغولة اليوم ؟
- نعم ، ستأتي آلاء للمنزل لنخطط لمشروع العلوم ، لماذا ؟
- كنت سأصطحبك معي لمعرض أفتتح اليوم
- معرض ماذا ؟
- معرض رسومات
- ما رأيك أن نذهب غدًا ؟
- أو اليوم في الليل ؟
- لا بأس ..

ذهبت لغرفتي لأزين نفسي وفي منتصف تصفيفي لشعري اتصلت بي آلاء وأخبرتني بأن والداها خرجوا من المنزل وأنها لا تستطيع

أن تترك أمير لوحده في منزل فهو غارقٌ بالنوم وبعد ثلث ساعة سيحين موعد تناوله الدواء .. فذهبت أنا لمنزلها ، أنه قريب جدًا لمنزلنا يفصله شارع واحد فقط

رحبت بي وبدأنا بالتخطيط وثم عملنا مجسم لأحدى أعضاء الجسم وما من لحظات إلا سمعنا صراخ هز جدران المنزل فهرعنا لمصدر الصوت

- أمير .. ماذا بك ؟؟
- أنه موعد دوائي ولم توقظيني أتريدين أن أموت !
- أمير ما هذا الكلام ! لم أقصد .. كنت مع نبراس نخطط لمشروع مادة العلوم وغاب عن بالي الوقت
- هدأ تدريجيًا : احضري الدواء

ناولته الدواء ونضرت لعلبة الدواء بصدمة : نبراس أرجوك ساعديني

- ماذا هناك ؟
- سينتهي الدواء وسأذهب للصيدلية لأحظر دواء آخر فأرجوك أبقي مع أخي ريثما أعود
- حسنًا

غادرت آلاء المنزل وجلست بقرب أمير بهدوء ، وضع يديه على يدي ويده الأخرى مسك خصلات شعري : كم أحب لون شعرك الأسود ، وضل يمسح على شعري ويشد يدي إليه : اشتقت لك

- وأنا كذلك
- أتمنى لو أستطيع الوقوف على رجلي لكيّ أسير معك في ليلة زفافنا

- أمير أرجوك لا تقل هذا ، فأنا أحبك كما أنت
- لا أستطيع أن أتحمل ما يجري لي
- هناك أطفال يتامى وأنت أفضل منهم
- لست أفضل منهم ! أنا لدي أب ولكنه لا يشعر ولا يهتم ، ترك أبنه لأنه معاق .. تركني لأني مصاب بمرض القلب .. كم أكرهه

تكلمت مع نفسي بصمت موحش " هل تعلم يا أمير أن معاناتك تشبه معاناتي ! أنت لديك أب تخلى عنك وأنا لدي أب لا يشعر ولا يهتم .. في تلك الليلة رأيت أبي يضرب ويشتم أمي ومن ثم سقطت أمي على الأرض ! وأخذها لخارج المنزل ومنذ ذاك اليوم لا اعلم ماذا حدث لوالدتي ، يرسل لنا والدي في شهر رسالة بها نقود ولا يسأل عن أحوالنا ، والأمر يحيرني هو .. هل ماتت أمي !!! منذ ما كان عمري ثمان سنوات لحد هذا اليوم مازال هذا الحدث عالق في ذهني ، لم أخبر أحد عن والدتي حتى أختك يا أمير لا تعلم بما أعاني .. دائما تظن بأني سعيدة ولا يوجد في حياتي ما هو مؤلم .. حينما تسألني عنهما أخبرها بأنهم مسافران وفي العطلة نذهب إليهم ، أشعر بالغيرة حينما أرى فتاة لديها أم وأب يذهبان للتنزه سويًا ويشتريان حاجيات المنزل سويًا.. حينما أقامت مدرستي حفلة تخرج رأيت كل الفتيات معهن والديهن وأنا ؟ لا أحد معي سوى أخي ! "

سقطت من عيني دموع وتمزق قلبي وحاولت جاهدةً أن أتذكر ملامح أمي مرة أخرى ولم أستطع : " أريد أمي لا أستطيع العيش من دونها .. لقد تعبت كثيرًا لماذا يفعل والدي هكذا بنا .. لماذا ! "

لاحظ أمير دموعي ومسحها برقة : حبيبتي .. لا تحزني فهذا ما كتب الله لنا ويجب علينا أن نؤمن بالقدر .. أعلم بأنك الآن حزينة بسبب بُعد والداكِ عنك .. ولكن أصبري فالصبر جميل وأنا سأكون لك أب حنون وأم طيبة وأخ صادق وصديق مخلص وحبيب وفي ولكن أرجوك لا تحزني .. لا أحب رؤية عيناك تذبلان وتغرقهما الأحزان فأرجوك أبتهجي .. أتعلمين حينما أرى عيناك هكذا أتعذب ؟ أتعلمين بأن قلبي يشتعل نارًا حينما أعلم بأن شخص ضايقك ! أود لو أقتله ..

نعم .. نعم لقد كذبت على حبيبي أيضًا وأخبرته عكس الحقيقة .. لا يوجد شخص يعلم بما في داخلي .. حتى سعد لا يعلم ..

وضعت يديّ في يده وتمسكت به بقوة : لا تتركني .. لا أريد للأيام أن تبعدنا لا أريدك أن تبتعد عني .. كن بجانبي مدى الدهر .. كن معي في كل لحظه .. لا أطيق غيابك فأتوسل لك أن لا تحرمني من قربك

- حبيبتي أمامنا ثلاثة شهور فقط ومن ثم سنتزوج
- أن الشهور بطيء لا تطاق
- حقا ؟ ألم تخبريني سابقًا بأنك تحبين مدرستك ولا تريدين الخروج منها !
- بلى ، ولكن قربك هو الأهم

أبتسم تلك الابتسامة التي أعشقها وخرج من الدرج الذي بجواره لوحة رسم فيها فتاة تشبهني تمامًا تلبس فستان أبيض طويل وتمسك بيدها باقة ورود وبيدها الأخرى تمسك شاب يشبه أمير تمامًا يرتدي ثوب أبيض

- أنها هديتي لك .. أتمنى أن تعجبك

- أنها مذهلة ! يعجز لساني عن الوصف

أمير .. لطالما حلمتُ أن أصبح رسامة مثلك ، ففي كل مرة من عيد مولدي تحضر لي رسمه من رسوماتك الجميلة ولكني أخجل بأن أخبرك بحلمي هذا ! فأنت موهوب وأنا ؟ لا شي ! أنا فقط فتاة عادية بقلب أبيض ومشاعر صادقة ..

عادت آلاء للمنزل حاملة معها علبة دواء جديدة فبدءنا العمل في المشروع وحينما انتهينا ذهبت للمنزل وأخفيت اللوحة جيدًا كي لا يراها أخي .

ومن ثم انطلقنا لعالم مليء بأوراق مبعثرة على الجدران ، كم أحببت هذا المعرض المكثف باللوحات الإبداعية الراقية ، ذهبت لعالمي وسألته : إلى متى تحلم ولا تحقق مرادك ؟ إلى متى سينزف قلبك بالحلم الذي تفشل نفسك فيه ؟ تحبط نفسك وأنت قادرٌ على تحقيقه ولكن الفشل يحبطك دائما . نظرت إلى عينيّ أخي فأجابتني بِـ : لا تيأسي فالحلم أحيانًا ينتهي بتحقيق المراد . بادرته الابتسامة ومن ثم رأيته يسير لشخص ما ويتحدث معه ، وما من لحظه قصيرة إلا ولوحة في يدي تحتفل ، فشكرت أخي كثيرًا على كل شي فعله في حياتي من بعد فقدان أمي ..

***

ارتديت ملابس النوم وجلست في فراشي وأخرجت صورة أمير من تحت غطاء وسادتي وبدأت أتأملها وأتذكر ذكرياتي الجميلة معه ، في بداية شهر مايو العام الماضي كان لقائنا الأول وعرفت من هذا اللقاء بأنه يكبرني سبع سنوات ، لم أعتقد يومًا بأني سأحب كسائر الفتيات

ولكن عندما أخبرتني آلاء بقصة أخيها أشفقتُ عليه كثيرًا و دعتني لعيد مولده يوم الثلاثاء السابع من مايو وحضرت لكي لا يحس أمير بالوحدة ولأني أريد أن أخفف عليه وجعه الذي سكن قلبه منذ الصغر حيث أنه لم يشعر بحنان والده مطلقًا بسبب إعاقته الذي كتبها الله له ويجب أن يرضى والده بالقدر ولا يتذمر ولكنه لم يكف وبدأ يضايق زوجته وأصر عليها أن تجلب له صبيّ آخر وحينما ولدت آلاء أحبها والدها فقط لأنها جميلة ! أخذت لون الأزرق لعينيها كعين والدها ولون البني لشعرها كشعر والدتها وبياض بشرتها كلون بشرة الاثنين معًا ولكن لم يكف والدها ولم ترضيه فتاة فهو يريد صبي يحمل أسمه ويذهب معه للمسجد وديوانية ككل رجال الحي ، أمير .. أتأخذ جمال أمه فشعره البني كثيف وعينيه عسلية آه وكم تعذبني هذه العينان ..

أتذكر جيدًا تلك الليلة التي نسيت بأن لديّ امتحان وحينما قدمته رسبت فيه وبدأت أبكي وأحاول أن أقنع المعلمة أن تعيده لي ولكنها لم توافق فرآني أمير وأنا حزينة فنظرت لعينيه وأحسست بأنها أزاحت الحزن مني ..

عيناك .. عيناك

أ تسحرني ؟ أم تعذبني !

أ أقول بأنها أضاعتني ؟ أم أرهقتني !

ولكني أخشى ! أخشى أن تتعبني وتعميني يومًا ما ...

الفصل الثاني ..

ها قد تخرجت أخيرًا من مدرستي الحبيبة .. اليوم سأودع صديقاتي التي جمعتنا هذه المدرسة وسأودع معلماتي التي اتخذتهن قدوةً لي .. سأودع مدرستي وسأحتضنها وأرفع يدي تحيةً لها .. سلامٌ عليكِ يا مدرستي ..

أذن ! ستنتهي دراستي وسأرحل من مدرسة لبيت أمير .. لطالما انتظرت هذا اليوم الذي سأرفع فيه قبعة التخرج مبتهجًا لتخرجي وتفوقي ، سيفتخر بي أخي سعد وأمير وصديقاتي .. وأمي ؟ أبي ؟ أ لا تريدان احتضاني في هذا اليوم ؟ أ لا تشتاقان ؟ أ لا تحسان ! أنا أبنتكما ! أنا من حملتني تسعة أشهر يا أمي ! أنا من حملتها وسميتها " نبراس " يا أبي ! ....

أوقفني تفكيري صوت معلمتي وهي تناديني لأتهيأ لاستلام شهادة التفوق وحينما سمعت اسمي سمعت بعدها تصفيقًا حارًا من أولياء الأمور وتصفيرًا أسعدني من صديقاتي وابتسامات عديدة من معلماتي ومن ذاك الشخص القابع في المقعد الخلفي .. نعم ! أنه أمير .. أنني أراه جيدًا وكأنه عيني لا تلمح إلا من تحبها ومن ترتاح للنظر إليها .. كم تسعدني رؤيتك يا عزيزي .

حينما أنتيها من الحفلة مررت من جنب أمير من دون أن يشعر بي أحد ووضعت ورقةً في يده وأخذت ورقة أخرى من يده أيضًا ! ذهبت لأخي سعد واحتضني بحرارة وصاح مبتهجًا : لدي خبرٌ سار ! هيا بنا

للمنزل . ذهبت معه من بعد ما التقطت صورًا عديدة مع صديقاتي ومعلماتي ومن ثم رحلت للمنزل

ظللت في طريقي أبحث عن الجواب المفقود : يا ترى ما هو الخبر السار ؟ أ يحضر أخي مفاجأة لي بسبب تخرجي ؟ أم هناك رسالة من أبي التي أعتدنا في نهاية الشهر أن يرسلها لنا ؟ أم هناك خبر عن أمي ؟!

دخلت للمنزل ولم أرى أي شيء مختلف ! الأريكة كما هي لم تتغير والتلفاز لم يتغير موضعه فسألت أخي باهتمام : ما هو الخبر السار ؟

- نظر للساعة وأبتسم : نصف ساعة وستعرفين ما هو الخبر ، الآن ألبسي أحلى ثيابك وسرحي شعرك وحينما تجهزين انتظري أمام الباب فهو قادم بعد قليل

ذهبت لغرفتي وخلعت روب التخرج ووضعت ورقة التفوق في مكتبتي الصغيرة ومن بعدها لبست فستان باللون الأرجواني وألوان ناعمة وضعتها في وجهي لتزينه وسرحت شعري وجعلته يسيل على كتفي مثلما يحب أمير ومن بعدها نزلت من على الدرج وأذ ينفتح الباب وأرى من سماني " نبراس " تجمدت أوصالي وبطأت دقات قلبي عندما رأيته يدخل المنزل لوحده بلا " أمي " ، نظر لي لمدة طويلة ثم قال : أ أنتي نبراس ؟ لقد كبرتِ كثيرًا وأصبحتِ تشبهين جدتك رحمها الله ، همست : رحمها الله ، وتقدم نحوي ووضع في يديّ ظرف وأخبرني : أنها هدية تفوقك .. أربعون دينارًا ، ومن بعدها صعد لغرفته تتبعه خادمة تحمل أمتعته

نقود ؟ أبي ماذا دهاك .. أ تسمي هذه النقود هدية ؟ أبي أنا لا أريد هذه النقود ! أنا أريدك .. أريد حنانك وعطفك .. أ نسيتني يا والدي ؟ أ هل الغربة نستك طفلتك المدللة ؟ التي لا تنام إلا وسمعت منك كلمة حب أو حنان .. أبي أنا أريد أمي .. أبي أنا أحتاجها .. أنها هديتي ..

لحقته وراءه وأوقفته : أين أمي ؟ رمقني بنظرة حادة ودفعني بعيدًا ، وثم تقدم نحو الباب ولم يكترث للألم الذي سببه لي ، ربت على كتفي أخي سعد وأخبرني بصوت خافت وكأنه يخشى أن تسمع الجدران كلماته وترسلها لأبي : ربما هو مرهق الآن .. لا تزعجيه وأنا متأكد بأنه سيخبرنا بكل شي فيما بعد

***

لم أنم تلك الليلة وبقيت دموعي تنزف ألمًا في جفني ، أبي ماذا دهاك ؟ ما الذي غيرك ؟ أين حبك وحنانك لي ! أ نسيتني ؟ أ نسيت من أكون ! أنا طفلك يا أبي .. أنا من خرجت معها للنزهات وحينما أمرض تقلق عليّ ولا تغمض عينيك إلا وأنا مبتسمة ومرتاحة .. أين ذهب كل هذا يا أبي ؟ أخبرني أين هي أمي ؟ ربما هي ستجيب على أسئلتي .. !

كيف أشرح لأمير تغير أبي ؟ كيف أيقظه من سعادته ؟ فحينما علم بعودة أبي فرحة كثيرًا وأخبر أمه أن يتقدم لخطبتي .. يا ترى هل سيوافق أبي ؟ هل سيسمح لي بالزواج بهذا السن المبكر ؟ داهمتني اسأله عديدة ولم أجد لها جوابًا مناسبًا .. بعض الأسئلة أقلقتني وبعضها وضعتني في حيرة كبيرة وسؤال واحد أتعبني كثيرًا – أين أمي ؟؟ - أبي كان لديك في الماضي قلب أبيض رغم قسوتك .. أما

الآن أسّود هذا القلب وبقى مسّودًا لمدى لا أعلمه .. رن هاتفي وإذا أرى شاشة هاتفي تضيء باسم معشوقي أمير

- لقد أخبرت أمي ! قالت لي غدًا أن شاء الله ستتحدث مع والدي ليتحدث مع والدك
- حسنًا ..
- ما بك ؟
- والدي .. لا أعلم ماذا حصل له .. لقد تغير كثيرًا .. لقد غيرته الغربة
- ربما هو مرهق .. أو سمع أخبار سيئة .. لا تقلقي .. غدًا حينما يعرف الخبر سيفرح بالتأكيد
- أتمنى ذلك ..

غفت عيني بعدما سمعت منه كلمات تهدئي وترسم الابتسامة على ثغري وما من ساعات إلا والضجيج يحتل غرفتي ، فتحت عيني ببطء ورأيت خادمة أبي تكنس الغرفة فصرخت بغضب : ما هذا الإزعاج ! ألا تريني نائمة ؟ ألا يمكن أن أرتاح لو لساعة قليلًا !

- والدك أمرني أن أنظف غرفتك .. وهو ينتظرك في حديقة المنزل .. فلقد جهز الإفطار
- قلقت وأخبرتها بسرعة : هل هو غاضب ؟
- كلا .. أنه مسرور جدًا

فرحت ولبست قميص بألوان زاهية ونزلت من أعلى الدرج وذهبت مباشرة لحديقة المنزل وألقيت التحية على أخي وقبلت أبي وجلست قربهما

انتظرت مطولا ليبدأ أبي بالحديث ويختمه بدعوة صادقة من قلبه وما من لحظات إذ بي اسمع حمحمة أبي : أنك تعرفين جيدا يا بُنيتي بأني قد سافرت مؤخرًا وانشغلت كثيرا عنكم .. وربما أيضا كرهتني ليلة البارحة بسبب عصبيتي وقسوتي لك .. ما رأيك أن نجلس اليوم معًا لنتعرف على بعضنا جيدًا ؟ بعد الغداء سيكون الوقت مناسب .. ما رأيك ؟

لم أرفض .. بل قبلت بسرور فهذه الجلسة ستجمعني مع أبي مرة أخرى وسيبخرني عن أمير بالتأكيد .. كنت أفكر ماذا سنتحدث في جلستنا ! هل سنتحدث عن ذكريات الطفولة ومن بعدها سيبدأ أبي بالحديث عن أمير ! أم أنه والدته لم تتحدث مع أبي لحد الآن ؟؟ خرجت هاتفي لأتأكد .. وتأكدت بالفعل !

(رسالة واردة)

" حبيبتي نبراس .. لقد تحدثت والدتي مع والدك ووافق والدك على فور وقال بأنه سيفكر بيوم للمقابلة "

اتصلت به على فور وبدنا نغزل كلماتنا ونكوّن أحلامًا وسطرنا أبياتًا من أحاسيس قلبان عاشقان .. لم تفارقنا ضحكاتنا في هذه اللحظة وكنا نحسب الدقائق لحين ما ناداني أبي وذهبت له وبدءنا نتحدث ونستمتع بـ"الجيز الكيك" بدءنا حديثنا عن مشاكسة أخي في صغره وثم أنتقل الحديث عني ..

تحدث أبي بمقدمات كانت بنسبة لي " تافهة " تكلم عن المسؤولية والأمومة وكأنه يتقنها لكي يتحدث عنها ! أعلم بأني اليوم متناقضة كثيرًا ، أحيانًا أحب أبي وأحيانًا أكرهه .. لا أعلم لماذا يظهر حنانه لي

اليوم بتاتًا ! هل يريد التخلص مني ؟ فبالأمس كان يصرخ واليوم يضحك ! ماذا جرى لك يا أبي ؟ ...

" فما رأيك أن نفرح جميعا بمناسبة عودتي للوطن و ... لزواجك ! "

قاطعت تفكيري هذه الجملة فبدوت مذهولة نوعا ما

لم استطع أن أرتب الحروف المبعثرة في حنجرتي لتنظم لي جملة مناسبة ..

تعالت ابتسامة أخي وقال : أن عمرك مناسب للزواج وعقلك أكبر من عمرك .. وأيضا نريد أن نفرح بك ونراك عروس ولكن إذا كنت لا ترغبين بالزواج بهذا السن سنرفضه

حاولت بأقصى حد أن ارتب حروفي من جديد : لا بأس أن أتزوج الآن .. ولكن طلبي هو أن أكمل دراستي وألتحق بإحدى الجامعات

- بالطبع فدراستك مهمة بالنسبة إليّ وسترفعين رأسي بالشهادة
- ستفرحين كثيرا لو علمت بأن من ينوي أن يخطبك هو أخ صديقتك !

حاولت أن أبين دهشتي بما سمعته أذناي لكلام أخي : حقًا ! ومن تكون تلك الصديقة ؟ هل هي مقربة لي ؟

وضع أبي يديه بيدي وضحك : أنها آلاء جارتنا وصديقتك منذ الطفولة

اصطنعت الخجل وقلبي كاد يخرج من بين أضلعي ويرقص فرحًا : لا أصدق ! لطالما حلمت أن أكون بجانبها للأبد حتى لو غزى رأسنا الشيّب وها قد تحققت أمنيتي فإذا تزوجت أخيها سأسكن بقربها و.....

قاطعني والدي بحذر : بُنيّتي ... لا تتزوجي أخاها لهذا السبب .. يجب أن تكوني مرتاحة جيدا معه فأنا لا أرضى أن تعيش ابنتي مع رجل لا يقدرها

ختمنا حديثنا بتحديد موعد للتعارف على أهله الذي سيقام في منزلنا بعد غد في تمام الساعة الثامنة ليلا .. اتصلت بمعشوقي وأخبرته بما جرى مع أبي وكانت البهجة لا تفارق حنجرتي ، كانت السعادة واضحة من عيناي وصوتي فكنت أنا في هذه الليلة كثيرة الضحك والهزل ، أداعب كل من أراه أمامي .. أ تصدقون ! من شدة فرحي أهديت الخادمة ساعتي التي اشتريتها قبل يومين

ولكن .. حدث ما لا أتوقعه في تلك الليلة

كان فتى صغير .. عاش عيشةً لا تحكى .. رأى قسوة أبية وسلطة أمه .. وكان بلا أخوة

تشتت بين أقربائه حينما انفصلا كل من أمه وأبيه

نام على فراش متسخ وأكل أكلًا لا يؤكل .. كره العيشة معهم فأجتهد ونال شهادة التفوق والتقدير

ثم سافر ورجع بشهادة ماجستير

فأصبح كأبية .. بلا ضمير وبقسوة تثقل قلبه

الفصل الثالث ..

صمت اجتاحني في تلك اللحظة .. صمت بين كومة فوضى وصراخ يهز المنزل .. صمت كاد يشلني قهرًا وألمًا .. ولكن ! هل لي كلمة اقولها لأسكت أبي ؟ وهل لي بحديث أقوله لأكسر قانون أبي ؟

- ليس لدينا فتاة للزواج

- أبي ..

أ أقول بأن تلك الجملة حطمتني .. أم أنها أضاعتني ؟ أبي .. رحلت عنا لسنوات ولم تسأل عنا مطلقًا والآن لأيام معدودة نويت أن تسكن معنا لكي تدمرنا !

أبي .. أنت لا تعلم ماذا جرى لي في تلك السنوات .. لا تعلم كيف تعلق قلبي بذاك الشاب الذي رفضته وأسميته - معاق - كلا يا أبي فأنت المعاق ! عرفتك يا أبي من هذه اللحظة .. لا تبالي بحزننا ولكن عندما يتعلق الشيء بسمعتك ؟ تقلب الدنيا لتسكتها .. أنت يا أبي تخاف من كلام الناس ولا تخاف على مشاعر طفلتك الصغرى .. فوا أسفاه على قلب لا يشعر إلا لنفسه

أ احكي لكم ما جرى أم اصمت ؟ أ يتكلم القلب بعد ضياعه .. أ ينجح العقل في التفكير من بعد ما جرى ؟ أم يرحل لعالم لا يوجد فيه موجود غير خالقه ..؟ أ أقول بأن أحلامي قد ذهبت سراب ؟ أ أقول بان سبب بقائي في الحياة لحدوث هذا اليوم المميز الذي سيغير مجرى حياتي قد ذهب سدى .. لقد حطمتني يا أبي فأنا لم أكن أتوقع منك هذا

الانفعال ، ماذا سيضرك لو اتخذت القرار بنفسي ؟ لدي عقل واستطيع التفكير مليًا وعميقًا وإذا كنت ترى قراري عيبًا فقط انصحني وضع البقية لي ، الحرية قد حرمت في بيتنا .. فلا هناك حرية من دون عدالة .

كنت في الأعلى حينما حضر أمير مع عائلته .. كنت أزين نفسي وحينما تلتقي عيني بعيني في المرآة أخجل وأبتسم لبرهة ، وضعت القليل من العطر في ردائي فتناثرت نسماته ، غرست دبوسًا من الألماس في شعري ، أهداني إياه أخي في عيد مولدي السابق ولم ألبسه بته

نزلت من الدرج ورأسي منحني للأسفل بخجل وحينما وصلت لأخر عتبة رفعت رأسي لأرى في عينيّ أمير الحزن وفي عينيّ والديه المذلة وثم انتقلت أنظاري لعينيّ أبي فوجدت الشرارة تتطاير منها بشدة

وضعت عيني في عين أخي وسألت بخوف : هل هناك خطب ما ؟

تقدمت آلاء وحضنتني بهدوء تام ثم همست لي : كنت أتمنى أن يوافق والدك على أمير ولكن حدث العكس .. وثم رحلوا !

تركوني بحيرة وأسئلة عدة تداهمني .. ماذا جرى .. لماذا لم يوافق والدي على أمير .. ما الذي حدث ؟!

وكأنه أبي يسمع بما في داخلي فأجابني : أذن تسألين إذا كان هناك خطب ما ؟ أذن كنتما أنتما الاثنان تعلمون بأنه معاق ولم تخبراني ! هل أنا مجنون لأزوجك برجل معاق !

تدخل أخي ليدافع عني : وما العيب ؟ هناك نساء كثيرات تزوجن من رجال معاقين ، فهذا الأمر بيد الله وهذا قضاء الله ولا بأس فأمير رجل خلوق ووالديه محترمان

- لا بأس لو تزوجته ، لا يهمني إذا كان معاقًا أم لا .. المهم هو أخلاقه

صرخ من أعماقه : أ تقصدين بأنك تريدين كسر كلمتي! قلت لك لن أزوجك برجل معاق أ فهمتِ ؟

ومن بعدها بدأ خلافًا بيني وبين أبي وانتهى خلافنا بصفعة على خدي جعلتني أبكي بحرقة ، ومع ارتفاع صوت نشيجِ قلت وأنا متدافعة نحو غرفتي : ليت في قلبك رقة يا أبي

قفلت الباب خلفي وغرست وجهي في وسادتي وأنا أتخيل سراب أمير يرحل عني .. تخيلت حياتي من دونه .. تخيلت فتاة أخرى ترتمي بأحضانه وتضحك معه .. تخيلت وتخيلت وأصبح الخيال أسودًا في عيني.

لم أنم في تلك الليلة .. كيف أنم وحبيبي قد ضاع من يدي ؟ كيف سأتحرر من قيود أبي ! كيف سأستمر بالحياة ومحبوبي ليس جنبي ؟ فرت دمعة من عيني ومسحتها بساعدي ورأت عروقي قد بدت تبكي على حالي .. بدأ قلبي يخفق ببطء ، اتصلت به وفي أول رنة سمعت رنين بكاءه .. أجبته بكيل من بكاء : أحتاجك جنبي

- لو كنت أمشي على قدمي لأتيت لك وهربنا سويًا إلى بلاد لا يوجد فيه سوانا .. لو كنت أمشي لوقفت أمام كل شخص

يعارض زواجنا .. لو كنت أمشي فقط لكنت فعلت لك ما تريدين .. ولكن يئست من وضعي

- أنا أريدك كما أنت .. أحبك كما أنت .. لا أريدك أن تندم على وضعك بسببي
- هل ستتزوجين غيري ؟
- كلا .. وألف كلا ! أنت لي .. أنت لي حتى لو لم تكن زوجي وقربي على الدوام ! أنت بقربي .. أنت بقربي بروحك وليس بجسدك ! أنت نبض قلبي المسكين .. قلبي المسكين الذي حرم من الحب بسبب أبيه.. مسكين أنت يا قلبي ! مسكين يا قلبي كم تعاني .. مسكين يا قلبي فلن يكن نبضك موجود بك .. قلب بلا نبض
- كفى ! فأنت تحرقين قلبي .. كفى ! فأنا لا أتحمل .. كفى ! فقلبي تعب من حرماني من ألذ ما أتمنى ..
- بكيت وأنا أنتحب بمرارة : أفهم ! لا أستطيع العيش بدونك .. لا أستطيع أن أبقى على قيد الحياة بدونك .. سينشغل تفكيري بك حينما تكون بعيدًا عني .. قل لي كيف سأتحمل فكرة بعدك عني ؟!
- أحبك ..

أندفع الباب بقوة ورأيت وجه أبي الغاضب وصراخه المتعالي .. لم أستوعب ماذا حدث لي غير لكماته الحارة ! رأيت سعد يركض ناحيتي ويبعد يد أبي عني .. سمعت شتائم عدة ولكن ركزت على شتيمة واحدة : أختك مثل أمها ! أنهما عار .. فأمك تخون وأختك تخون أيضا !

بهت في مكاني ودموعي توقفت في مجاريها وسألته للمرة الألف : أين أمي ؟ ... ولم أجد جوابًا بين شتائمه .

***

أمي .. أين أنتي ؟

أمي .. اشتقت لك

أمي .. أحبك

أمي .. ابنتك قد فاضت دماء قلبها فهل لن تأتي ؟؟ قد ذبلت أبنتك .. قد أسوّدت الدنيا في عينيها .. لا تعلم أين يوجد الحنان لترتوي منه .. فكنت الحنان كله يا أمي .. ومن بعدك نلت الحنان من أبنك سعد .. ولكنه راحل في هذا الصباح ..

أماه ! أبي سيحرمني من حنان الجميع .. أماه ! في هذا الصباح سيحزم سعد حاجياته ليرحل عن البلدة .. أماه ! أين أنتي .. ؟

استيقظت في الصباح الباكر على ضجيج خفيف تتفاوت فيه الرجاء والعويل وينتهي بالفوز والنصر على ضعيف ، أطلت رأسي من باب غرفتي لأرى رأس اخي منكب على قدميّ أبي ويتوسل له بالبقاء ، رأيت أمتعته تحت الدرج وغرفته قد غلقت ، سألت بصوت خفيف : هل أنت راحل يا أخي ؟

احتضنني بحرارة ووضع رسالة في جيبي وأعتقد محتوى الرسالة سيجيب على الأسئلة التي داهمت رأسي في هذا الحين ، تمسكت به بقوة لحين ما أحسست بأني سأغوص بداخله ، حينما ابتعدت عنه قليلة رأيت عينيه تملئهما الدموع وكأنه يقول : " هذا آخر لقاء سيجمعني

بك بحب وحنان " وبالفعل ! همس في أذني : ربما نبتعد عن بعضنا لسنوات عديدة وحينما نلتقي لن نعرف بعضنا

صرخ أبي به : كفاك أيها الطفل ! أنت رجل لماذا تبكي ؟!!

- أعذرني يا أبي ولكن الغربة قاسية وسأشتاق لأختي فتحسست للموقف فبكيت غصبًا عني
- أجابه بحنق : هيا هيا أخرج للخارج ستقلع الطائرة الآن لا تضيع وقتك بما لا يستحق !

قبل أن يذهب أحتضنه وأوصيته بأن يحدثني كل يوم .. ذهبت لغرفتي وفتحت الرسالة :

أختي الغالية / نبراس

هناك أمور كثيرة لا تعلمينها وستعلمين بها في الوقت المناسب .. لا تقلقي عليّ فأنا سأبقى مع أمي منذ هذا اليوم .. أهتمي بصحتك وبنفسك وأطيعي والدي في كل شي حتى لو لم يعجبك الأمر ! أعلم بأنك حينما تقرئين أسطري سيشع بك الفضول في معرفة أين أمي .. ولكني مجبور أن أكتم موقعها ..

أخوك / سعد

صدمت كثيرًا وهرعت للخارج لأسأل أخي عن أمي ولكنه خرج ! خرج ولم يعد ..

الفصل الرابع ..

بين قلبي وقلبك جسر لا يعبره سوانا ولا يعرفه غيرنا

اذهب لك حينما يراودني الحنين

وتأتي لي حينما أحتاجك

لا أعلم إذا كنت تفقدني .. لا أعلم إذا كنت تنتظرني

ولكن كل ما أعلمه بأنك تموت حسرة لأني لست لك

ظللت حبيسة في غرفتي منذ أن غادرني سعد .. أتحاشى النظر لأبي وأتجنب الحديث معه .. نجتمع معًا في يوم ساعة واحد .. نصف ساعة في الغداء ونصف ساعة في العشاء ، أما الفطور فهو يخرج مبكرًا للعمل وأنا أستيقظ مؤخرًا لأكمل روتيني الممل.

أستيقظ صباحًا وأمارس الرياضة في باحة منزلنا ومن بعدها أنتظر آلاء في الساحة الخلفية لمنزلنا خيفةً من أن ترانا الخادمة وتخبر أبي ، تحضر لي رسائل من أمير وتخبرني كم هو يعاني في غيابي وأعطيها رسائلي لأمير وأخبرها كم أشتاق له فهاتفي قد أخذه والدي من بعد ما علم بأنه وسيل المحادثة بيني وبين أمير.

أودعها وثم أعود لغرفتي لأقرأ عتاباته لي وأمسح تلك الدموع التي تفر من عيني كلما رأت خط الحبيب داخل الأوراق التي تحملها يداي.

حينما ينتابني الضيق أخرج ورقة ناصعة البياض وأحاول بشتى الطرق أن أرسم وأبدع فيها ، وأفشل كالمعتاد ..

تأملت في لوحات أمير الذي أهداني إياهن مسبقًا ، حاولت أن أبدى بالصفر فرسمت العينان وحينما أنتهي أرسم عينين أخريين فأرسم العين أجمل من السابق ، أغمضت جفني لبرهة فتذكرت تلك العين التي أعشقها فحاولت رسمها ففشلت أيضًا ..

فَيّدي تعجز رسم عيناك ، فَيّدي تذبل شوقًا حينما أرسم جزء منك ، فَيّدي تشتاق إليك يا من لا أراه إلا في أحلامي .. ويا من لا أحتضنه إلا في أوراقي.

أغمضت عيناي للمرة الثانية فتخيلتك واقفًا في بستان ممتلئ بالزهور وأنا أركض لك مسرعةً فتمسك بي وتشدني إلى صدرك وتقبل رأسي وتهتف لي قائلًا : " أًصبحت أمشي ! " ..

سمعت صوت خطوات أبي فأنهار عالمي الوردي وأسرعت بتخبئة ذكرياتي وفوضاي ..

فتح الباب ببطء ثم نظر لي نظرة لم أعتادها سابقًا : ضعي الفستان فوق سريرها

تقدمت الخادمة ووضعت الفستان بقربي ، كان يشع باللون الحب - الأحمر – وكان طويل جدًا وبه ورود تزين أطراف الفستان : ستلبسينه الليلة ، سيحضرون أصحابي من الديوانية للمنزل ، ستقدمين لنا القهوة والحلوة .. ثم خرج بدون أن يسمع تعليق مني

ابتسمت الخادمة في وجهي : أنه جميل ويليق بك هذا اللون ، ستصبحين عروس

سألتها بقلق : ماذا ينوي والدي هذه المرة ؟!

- كل الخير أن شاء الله

ثم خرجت ودعتني وحدي مع أفكاري ، نظرت لمؤشر الساعة إذ به يقف عند الرابعة عصرًا .. أذن لدي متسع من الوقت لأفعل ما أريد ، نزلت للأسفل وأخبرت والدي بأني سأذهب للجمعية ووضع في يدي نقود لأصرفها ، خرجت متسللة لمنزل أمير .. استقبلتني آلاء بحضن دافئ ودموع ساخنة وقبلات حارقة ، توجهت مسرعة لغرفة أمير ولم أستوعب ماذا حدث فدموعي غدرت بي حينما التقت عيني بعينه ،

خرجت من المنزل مسرعًا لكي لا يشك أبي بكذبتي الصغيرة وحينما غادرت تابعتني عبارته الذي اقتحمت قلبي وكسرت كل ما بداخلي " أتعلمين ما هو الموجع ؟ أنني أراك وأيقن بأن لن أراك مرة أخرى "

بين ممرات الجمعية اقتنيت علبة شوكولاتة الذي يحبها أمير وبعض الحلويات الذي تعشقها آلاء وبعض الحاجيات لي ، أعطيت آلاء الحلويات وعلبة الشوكولاتة وأوصيتها أن تقبل أمير عني

دخلت من بعدها لغرفتي مسرعة لكي لا يسألني أبي عن شي وتفضحني عيني مرة أخرى ، لم يخطر ببالي أن هذه الليلة ستدمر حياتي ، كنت أفكر ووصلت للفكرة المناسبة ، بأن أبي يريدني أن أكون جميلة فقط ليتفاخر بي أمام أصحابه كانت أفكاري سخيفة مثلي تمامًا !

مر الوقت كهبة ريح وما من لحظات وصينية الحلوة في يدي وفناجين القهوة في يدي الأخرى ، قدمت لهم الحلوى ورحبوا بي وهمسات من كل جانب وتعليقات كانت اختصارها " أنها فاتنة " لا أعلم ماذا كان يدور ببال أبي آنذاك ، كان ينظر لي بنظرات كادت تقتلني فضولًا ، حينما فتحت الباب لكي أخرج استوقفني أبي وطلب مني الجلوس معهم ! لم أرفض طلبه لكي لا أحرجه أمام أصاحبه وجلست بقربه ، وحينما غادروا ودعهم أبي في الخارج ولكنه أطال توديعهم فوقفت لكي أشبع فضولي وعلمت بأنه يتحدث مع صاحب له وبعد مدة ضحكا معًا وقبلا بعضهم البعض وغادر الأول لسيارته أما الثاني فهو قادم لي ، خفت من ردة فعله إذا علم بأن أراقبه فهرعت لغرفتي ومازال الفضول يشع بداخلي .

هل اشتاق لك .. أم أفتقدك ؟

هناك فرق بين هاتين الكلمتين

في .. الحروف والنطق

والمعنى أيضًا ..

الاشتياق يضيف للقلب ألمٌ بسيط

لقاء .. فنظرة عينيك وينتهي هذا الألم ..

أما الفقدان ..

عذابٌ ثم حطام قلب .. ثم دمار الشعور بالحب

فلا أريد تجربة الفقدان معك

فهو مؤلم جدًا ..

ها قد مرت الأيام كما تشاء يا أبي .. ها قد أتى هذا اليوم التي أنتظرته أحر من الجمر يا أبي .. ها قد رضيت بقدري مجبورة بأوامرك يا أبي .. ها قد ضيعت أحلامي يا أبي .. ها قد حطمتني يا أبي .. !

الشيخ : نبراس آل النعمان هل أنتي موافقة أن تتزوجي أيمن آل مبارك بإرادتك ؟

ساح كحل عيني وارتجفت يداي وخفق قلبي بقسوة وصاح قلبي ولكن بدون صوت .. مدة صمت طويلة أزاحها أبي بصراخه : أنها موافقة !

الشيخ : ولكن من المفترض أن تجيب الفتاة وليس أنت

والد أيمن : أذا كانت لا ترغب بالزواج فلا تجبرها

عبد الرحمن : أبنتي خجولة وتتلعثم في هذه المواقف

أعاد الشيخ سؤاله وأحسست أيمن يضغط بيدي كي أجيب بالموافقة .. فتكلمت وأحسست روحي خرجت من بعد هذه الكلمة " موافقة "

الشيخ : أيمن آل مبارك هل أنت موافق .....

لم يكمل الشيخ كلامه فأيمن أجابه بسرعة البرق : نعم ! أوافق .. أقبل ذلك

خرج الشيخ من بعدها ورفع أيمن طرحتي وقبل جبيني وحينما رأى الدموع تتلألأ في عيني همس في أذني : أيتها الجميلة ، لما الحزن ؟ فعيناك لا تستحق ذلك

***

امتلأت القاعة بموسيقى صاخبة تتبعها كلمات هادئة :

أجمل ما في الدنيا بيت يجمع بين أثنين

بيت تجمع فيه الرحمة روحًا في جسمين

بيت يملئهُ الإيمان ويشيد بناءه التحنان

فيقوم على الود الأكمل ما بين الزوجين

" أحلى لحظه في عمر الإنسان هي هذه اللحظة .. " الزواج " .. كل بنت تحلم تمسك يد زوجها وأمام كل ناس تقول لهم هذا حبيبي .. بس أتعس لحظه أنك تتزوج شخص غصبن عليك وفي داخلك شخص ثاني تحبه ويحبك "

يا رجل نال من الدنيا أجمل ما فيها

مهلًا فالمرأة كالوردة احذر تؤذيها

لا تظلمها .. لا تجرحها .. لا تقسو عليها ..

لا بل ألطف واعطف وارأف كن من يحميها ..

" سأعيش من اليوم مع رجل لا أعرفه ولا أعرف أطباعه ولن أحبه أبدًا .. ولكن السؤال الذي يحيرني هل سيعاملني بقسوة مثل أبي ؟ "

يا امرأةً زينتِ الدنيا في عيني حماكِ

كوني نبراسًا للعفة والصون ردائك

لا تعصيهِ لا تؤذيهِ واسعي لترضيهِ

وأدع انك ذا تحيوا سعداء ما عشتم أبدا

" ندعي بأننا سعداء ؟ ولكن الأمر صعب جدًا .. فمنذ الآن تقاسيم الكره ظهرت في ملامحي "

ومن بعدها امتلأت القاعة بالأغاني الصاخبة وبدأت الفتيات بالرقص واهتز قلبي بألم .. أستأذن أيمن مني وخرج ليلتقي بأصحابه فظهرت آلاء من بعد خروجه .. تعالت تقاسيم وجهي وركضت ناحيتها لأحتضنها .. لأبكي على صدرها .. لأشم ريح أمير في سترتها .. لأذق العذاب معها .. ولكنها أتت لتعذبني فقط !

- أين إحساسك .. أين مشاعرك ؟ تدعين حبك له وهو يحتضر كل يوم بسبب إعلانك للزواج ، ألا تشعرين به ؟ أين شفقتك ؟ اقتحمت قلب أخي ثم قتلتهِ !

نعم .. لقد ذهبت لأمير وأعلنت زواجي أمامه لكي يحتضنني ونهرب سويًا ولكن غضب ورمى كل شي أمامه وحطم وكسر ولم يهدئ إلا حينما خرجت من المنزل ..

- كنت أعتبرك أختي وصديقتي وأما الآن أنت مجرد فتاة بلا قلب وبلا مشاعر .. إذا كنتِ تريدين رؤية أمير مرة أخرى - وبدأت تبكي وتعالت شهقاتها .. حاولت أن أفهم تلك الحروف المبعثرة التي خرجتها من بين ثنايا شفتيها - كلا .. كلا لن تستطيعي رؤيته فهو رحل ولن يعد .. فهو لقد توفى في هذا الصباح .. رحل وهو يحتضن صورتك .. كم أنتي قاسية يا نبراس

ضحكت ! وتعالت ضحكاتي كالمجنونة .. ضحكت وأصبح منظري يلفت الانتباه فصفعتني آلاء لكي أسترجع نفسي .. ومن بعد تلك الصفعة أنهار عالمي وكأنني للتو أصبحت بعقل يفهم ويفكر

- ماذا تقولين ؟ أنتي تعلمين بأنني مغصوبة على الزواج ، أعلم بأنك تكذبين لكي لا أرى أمير ولا أفكر به لأعيش حياة سعيدة ولكن أعلمي جيدًا بأنني سأطلق قريبًا لأكون بين أحضان أمير
- احتضنتني آلاء وهي تشهق وتنوح : نبراس ! لقد مات أمير .. هل يعقل بأني أكذب في هذه الأمور ؟!

عن ماذا أخاطبك في هذا المساء ؟

عن فقد حطمني .. ؟

أم عن دموع تنزل شوقًا فتعتري قلبي الحزين ؟

عن ماذا أخاطبك ؟

عن حبي لك ؟ حسنًا ! أحببتك .. وتركتني

لا .. لا أقصد بأنك تركتني كبقية الناس بل أخذك الموت عني

رحلت بدون أن أودعك .. رحلت ولم تسمح مني ما يسعدك

رحلت وأبقيت بقلبك ألمًا لا ينسى .. فسامحني أرجوك

وألقاك ؟ أمنيةٌ لن تتحقق ..

الفصل الخامس ..

- هل تسمح لي أن أزور قبر صديقتي غدًا ؟
- أذن كان هذا سبب حزنك اليوم ! لا بأس عزيزتي ..

أعلم بأنك دائمًا تصاب بنوبات قلبية بسبب مرضك اللعين ، ولكني كنت أخبرك عن زواجي لكي تتمسك بي ولا تسمح لأحد بأن يأخذك مني وعندما رأيتك غاضب قررت أن أتطلق من أيمن وأخلق أعذارًا لأبي ومن ثم أرحل معك .. ولكن لم أتوقع بأنك ستتخلى عني بهذه الطريقة

أمير .. لما اخترت الموت ؟ أ تظن بأن الموت هو الحل الأنسب ! لماذا أهملت أدويتك .. فقد علمت مؤخرًا بأنك تركت الدواء وأغفلت عنك الباب وأصبحت لا تأكل إلا لمامًا

أ أحكي لكم عما جرى منذ البداية ؟ أم قلبكم لا يتحمل ..

دخل أبي غرفتي ووجه آنذاك يمتلئ بالسعادة ، خاطبني عن والد أيمن وعن شركاته وعقاراته وكل ما يرأسه في الدولة ! وثم أنتقل الحديث عن أيمن ذات الرابعة وعشرون عامًا ، مدير في شركة ولديه معارف كثيرة وأخلاقه عالية ونقوده تكسو الدولة كلها ! وكان أغلب حديثه عن المال والجاه . ثم سألني : ما رأيك به ؟ ألتزمت الصمت وكأنني للتو أستوعب ما يقصده أبي بالحديث عنه ..

كالعادة أصبحت مشادة بيننا وفي الصباح وقت خروج أبي للعمل أسرعت متجه لأمير لأشكو له الحال

وما فائدة الشكوى لقلب أعميه بالحب ؟

مسكت يده وأنا أخبره بكل حرف قاله لي أبي حينما صرخ في وجهي قائلا : " ستتزوجينه .. لن تكسري كلمتي " صحت في حجره متوسلةً بأن يفعل شي لنبقى معًا .. معًا في قلب واحد وليس قلبان !

نظرت لي آلاء بدهشة ورأيت يد أمير تنقبض بقوة وتدفعني بعيدًا عنه : تريدين أن تتركيني بهذه الطريقة ؟ أفعلي ما تشائين وارحلي عن قلبي

- أمير ! ..

قاطعني بصراخه وكأنه كل حرف يخرج منه سهم يصيب فؤادي العليل .. حاولت أن أبرر ولم أستطع ، بكيت لعلى عقله يهدئ وقلبه يحن ولكني فشلت ..

رحلت للمنزل أبكي وأبكي ولكن دموعي لا تسيل ، صرخت ولكن صوتي لا يُسمع ، كل شي بداخلي تكلم أما أنا فكنت كالجماد بلا حركة وبلا قوة ، حاولت الوصول لسعد ولم أستطع ، طلبت من أبي ذلك ولكنه رفض

بكيت في تلك الليلة حتى جفت دموعي ، فصرخت وتعالت شهقاتي حتى باح صوتي ، احتضنت الوسادة وأنا أحاول التخلص بما في قلبي من أوجاع وآلام ولكن لا فائدة فقلبي يشتعل نارًا لا تنطفئ إلا بمائهِ ومائي هو جرعة من الحب والحنان نابع من قلب أمير

كل يوم يمر أمامي أتمنى فيه أن تعفو عني وتخاطبني لنهرب معًا ، لنترك هذا العالم ونذهب لعالم حبنا ، ذاك العالم الذي خططنا فيه

مستقبلنا والذي سيتحقق فيه حلمنا .. عالم نخبئ فيه أسرارنا وأقاويلنا ، عالم .. عالم مكوّن من صفحات وكل صفحةٍ تحكي ذكرى من ذكرياتنا العديدة ، عالم .. أحببناه سويا وسنذهب إليه سويا .. ولكن ! الفراق كسر كل شي جميل في ذاك العالم .. !

كنت أفعل ما تفعله وأحب ما تحبه وحتى طعامي أصبح مثلك تمامًا ، أبعد عني الفاصوليا ومشتقات الحليب وأعشق الزيتون الأخضر !

كنت أقضي أوقاتي فراغي مثل ما تقضيه أنت ، ولكن بصعوبة

كنت أحاول أن أرسم ولكن أفشل .. ولكن فشلي صنع الإصرار بداخلي .. فرغم فشلي المتكرر أرسم أضعاف فشلي ! كنت أحاول تقليد رسوماتك .. ويومًا عن يوم أصبحت أهوى الرسم .. فأصبحت أهوى ما تهواه أنت

أ تعلم يا أمير في يوم زفافي كنت أبكي ؟ لم يفهمني أحد آنذاك ! الجميع ظن بأني سعيدة وحتى " الكوافيرة " كانت تضع لي " المكياج " وحينما تذبل عيناي وتسقط قطرة من قطرات عذابي تضحك قائلة : " أ هذي دموع الفرح ؟ أم أنك متشوقة لرؤية زوجك ! " فكانت جميع أجوبتي " السكوت .. الصمت " !

طيلة غزل أيمن لي كنت أتمنى رؤيتك لترجع لي نفسي ، فمن بعدك ما عدت أنا .. أنا

***

ارتديت ملابس نومي وذهبت لذاك السرير الذي سيجمعني مع أقوى كوابيسي وما من لحظات إلا وأيمن يسند يديه فوق كتفي فارتعبت

وأفقت من أحلامي لأرى الحقيقة جيدًا وهي بأن أمير ليس معي وأنا مع رجل لا أعرفه ولا يعرفني !

ركضت لدورة المياه وأغلقت الباب بأحكام وكادت تنشل روحي من شدة البكاء ، بكيت على فقدان أمي وسعد ... بكيت على قسوة وسلطة أبي ... بكيت على زواجي البائس ... وانقطعت أنفاسي على موت أمير

سأبقى بقربك .. لا يهمني أين أنت الآن

المهم بأنك في قلبي

سأبقى هنا أنتظرك حتى لو لم تعد

الموت ؟ حق .. ولكني لا أصدقه

أو بالأحرى لا أصدق بأنك ابتعدت عني

لا اصدق بأن الموت أخذك مني

أعلم بأني ما زلت نائمة الآن !

أعلم .. أعلم بذلك

وكل ما جرى مجرد كابوس فضيع

وأنت الآن تنتظرني أستيقظ كي .

لا أعلم ! هل تنتظرني حقًا ؟ ولمَ ؟

أنا انتظرك لأشبع بقربك وأخبرك عن اشتياقي لك

وأنت ؟ لما تنتظرني .. ؟

لكي تخبرني بأنك لن تعد لي .. لن ترجع ؟

أ كان هذا اتفاقنا ؟ فلقد وعدتني بأنك ستبقى بجانبي لمدى الحياة

أخبرتني بأن لا أحد بقادر على فراقنا غير الموت

والآن أنظر لهم ! أسمعهم بكل جانب يتحدثون عن خبر موتك ..

وأنا قابعة مكاني لا أصدق ما جرى وأضحك بداخلي وأهمس بجوفي : " أقاويلهم هراء .. حبيبي لم يمت ! "

حينما نفقد شخصًا عن طريق الانفصال أو الفراق

نتمنى أن لا نراه لنمحو ذكراه .. لكي لا يرجع ماضينا الجميل معه

وحينما نفقد شخصًا عن طريق الموت

تأبي ذكرياته الرحيل ..

وكأنه الذكريات تتحدانا بإصرار فيبقى ما يؤلمنا من الذكريات في عمق ذاكرتنا ، وما يسعدنا يرحل بترحال الشخص ..

هناك أمر صغير

لا اعرف صياغته لكم

ربما لن تشعروا بما أحسه وأنا أكتب لكم هذه الكلمات ..

لأن الشيء يتعلق بي .. سأتألم وحدي .. وأنتم ؟ ستقرأن وستشاركونني القليل من العطف

حسنًا لن أطيل بالحديث وسأخبركم ..

حينما أخبرني أبي عن أيمن .. كلكم عرفتم ردة فعلي بالطبع

فقد ذهب لمنزل أمير واشكيت له الحال ليخفف من روعي وألمي

ولكنه زادني ألمًا ما بعد ألم ..

عدت أدراجي للمنزل وحاولت انشغال عيني عن الدموع و انشغال تفكيري عن مخاوف الأيام القادمة

رسمت .. نعم ! حاولت تخلص من حزني عن طريق الرسم ..

خط متعوج وآخر مائل .. لا فرق بينهم فكلاهما تائهان ومنحرفان عن طريقهما مثلي

كنت أسير مستقيمًا على خط الأحباب .. فيأتي أبي يحرفني عن مساري لأصبح كالخطوط التي ترسم على حسب المزاج

فحينما نكون مبتهجين ؟ نرسم فنبدع بخطوطنا

وحينما نكون تعيسين ؟ تتشوه رسوماتنا وتنحرف عن إبداعها

حسنًا .. لأخبركم ما جرى لي وأنا أرسم

حاولت أن أغمس روحي الذابلة لروح الورقة ! لتصبح روحي بيضاء وجميلة مثلها .. فلم أستطع

وبدون شعور رسمته .. رسمت حبيبي وكانت روحي تحتضر ..

فيدخل أبي ويرى ما قد رسمته يدي من ألم

ماذا فعل ؟

مزقهم .. مزقهم أمام عيني ورماهم في سلة المهملات !

بكل بساطة مزقهم .. ليس فقط رسمة حبيبي بل جميع رسومات الموجودة في الدار ! رسومات من حبيبي ورسومات قد رسمتها أنا ! جميعها قد مزقها وهو يشتم بي ويلعن بي ! آه ...

ماذا ارتكبت يا أبي من جرم لتفعل بي هذا ؟

مع كل صوت تمزيق أحسست وكأنه خناجر قد اخترقت قلبي

اخترقت قلبي ..

حسنًا لم أخبركم سابقًا بهذا الأمر أنا متأسفة جدًا .. ولكن أ تعلمون بأن حلمي أصبح كحلم أمير ؟ هو يتمنى أن يصبح رسام مشهور .. ولكن أنا أتمنى لو على الأقل أصبح رسامة مثله لا تهمني الشهرة !

ولكن حلمي لن يتمزق كما مزق أبي أوراقي ..

سأعيد تنسيق أوراقي كما نسقتها سابقًا ..

تخيلوا بأن لديكم حلم تسعون إليه كثيرًا

تحاولون قدر المستطاع أن تنجحون فيه

ونجحتم !

وركبتم السلالم وبقية القليل لتصلوا للقمة وتحققوا هدفكم

ويأتي شخص ما يعارضكم .. ليسقطكم من الأعلى ...

ما هو شعوركم ؟

ستصمدون وستحاولين الوصول للقمة من جديد ؟

حسنًا وإذا الأمر صعب ؟ ستقولون وصلنا للمرة الأولى .. فسنصل للمرة الثانية

بكل بساطة ستقولونها ، ولكن حينما تريدون القيام بذلك ..

ستتذكرون ما جرى لكم من معاناة وأنتم تحاولون آنذاك أن تصلوا للقمة

فبالحقيقة في المرة الأولى وصلتم للقمة ولكن بجهد كبير ..

وختام حديثي ..

أريدكم أن تشعروا بي فقط .. !

الفصل السادس ..

كيف لي ..

أن أنسى حبًا سكن أعماق .. أعماق قلبي وزرع في ثناياه

كيف لي ؟

أن أبعد عن حبًا.. أستوطن كياني

قل لي؟

أ يعقل أن نترك حبًا بات أن ينتهي !

لا تلوموني .. فحين يبتعد اثنان عن قلبك تُجبر روحك في الاندماج لشخص يعوضك عن ما فقدته من هذان الشخصان " سعد .. أمير " أخي وحبيبي الراحل

ولكن هذا الشخص هو أيمن .. أنا مجبورة أعذروني ! الظروف والأقدار أجبروني أن أكون بقربه وأتلذذ بحنانه وحبه ، أنا مجبورة أن أذهب معه للتسوق وأتمسك بيده لأنه يشعرني بالأمان من نظرات الشبان القاتلة حولي ، فأنا لم أتعود على هذه النظرات في قريتنا ، ففي المدينة الحياة مختلفة !

ولكن كل هذه الأشياء التي صدرت من أيمن من حب وحنان واهتمام لن ينسيني أغلى الشخصان في قلبي

لم أتحدث لكم عن حب سعد لي وتضحياته لي ..

حينما هاجروا أمي وأبي لمكان ما .. أصبح بقربي دائمًا ويصطحبني إلى المنتزهات والشواطئ ، يحكي لي قصص ليلى والذئب والثعلب المكار قبل أن تخلد عيني للنوم ! وحينما أبكي لاشتياق عيني لرؤية أمي ؟ يحضنني ويحاول قد المستطاع أن يضحك عيني .. لا ينكسر خاطري أبدًا ، كل شي أتمناه ألقاه جنبي .. لم أشعر بالنقص كثيرًا حينما ابتعدا عنا والدانا فسعد أبي وأخي وصديقي وحبيبي .. لن أقول أمي ! فلا أحد يستطيع أن يعوضني عن تلك الأميرة .. أمي اشتقت لك

***

- هل أنتي مستعدة ؟
- بالطبع ! ومتشوقة كثيرًا لرؤية الجنين يتحرك

لم أخبركم بما حدث في الأوان الأخيرة .. مرت سنتان وحينما علمت بأني حامل منه أصبحت أدنوا له أكثر وأكثر .. وأحببته !

يسهر الليل كله من أجلي وحينما أتألم يأخذني للمستشفى بخوف ويقلق عليّ كثيرًا .. أحب خوفه عليّ وأحبه أكثر حينما يحسسني بأني أميرة ، فأعمال المنزل هو يقوم بها ! هو من يحضر الطعام ولكن بالطبع يحرقه ! ثم نطلب من المطعم أصابع البيتزا ونتناولها سويًا ونحن نشاهد فلمًا ما ..

وصلنا للعيادة وأتى دوري بالدخول فنهض معي أيمن .. قمنا بأشعة تلفزيونية ورأينا تحركات الجنين ، فرحت كثيرًا حينما علمت بأنها فتاة ومن بعدها أصبح عراكًا بيني وبينه لاختيار أسم مناسب للفتاة

- أزهار ؟ ما هذا الاسم ! ألا تريدين أن تسمينها ورود ؟
- أوه أيمن ! أنه أسم جميل صدقني وسيليق بها ، أذن تريد أن نسميها خاتون ! سيسخر منها الفتيات في الصف
- ليسخر منها ما شأني ! الاسم جميل وأحبه
- أيمن حبيبي أرجوك ! حسنًا هذه المرة أنا سأختار الاسم والمرة الثانية أنت .. اتفقنا ؟
- ولكن غيري الاسم لا يعجبني أسم أزهار
- أمسكت بيده برجاء : أرجوك حبيبي ..
- أبتسم : حسنًا يا غناتي ، الأهم أن تخرج هذه الأزهار بخير

أبتسم له بانتصار وبدء يضحك على تصرفاتي كالأطفال ، تغيّر مسارنا وذهب لمنطقة بعيدة عن منطقة سكنا فنظرت له بتساؤل فألتزم الصمت .. أوقف سيارته في مواقف مطعم ما ، دخلنا سويًا وسألته باستغراب : ليس من عادتك أن تصطحبني للمطعم بدون مناسبة ، هل بمناسبة أنك عرفت ما بداخل بطني فتاة ؟

- آه ! كم أنتي فضولية يا نبراس ، التزمي الصمت وستعرفين كل شي بوقته (كل شي بوقته حلو !)

حاولت السكوت ولكن لم أقدر ، ولكن في نهاية ألتزمت الصمت كي لا يغضب ، تناولنا غداءنا وتلذذنا بشرابنا وبدءنا نتحدث عن أمور متفرقة ومن بعدها ....

- لما لم تذهبي للجامعة ؟
- أممم ..
- حسنًا .. لقد شاهدتك في الآونة الأخيرة كثيرة الرسم وما شاء الله أنتي موهبة ! ألا تريدين أن تصبحي رسامة مشهورة ؟
- ولكني لست موهبة كالرسامين ، رسوماتي بسيطة جدًا
- ألا تريدين أن تنمي موهبتك ؟
- بالطبع أريد ..
- أخرج من جيبه بطاقة لم أستطع أن أميزها : أعلم بأنك تحلمين بالرسم كثيرًا ، وأحب أن أدعمك ! وهذه بطاقة يوجد بها كل شي يتعلق بالرسم وإلى ... الفندق و المعهد الذي ستلتحقين به في كندا
- بصدمة : كـ ... كندا ؟!

- نعم ، فهناك أفضل المعاهد وبالطبع لن تخرجي من المعهد إلا وأنتي مبدعة أكثر من الرسامين ! وأنا متأكد من هذا
- هل ستأتي معي ؟ لن استطيع الذهاب وحدي وأنا حامل !
- تردد بعض الشيء : أممم لا أعلم حبيبتي ولكنك تعلمين بأني مدير الشركة ولا أستطيع تركها لأكثر من أسبوع ، سامحيني حبيبتي ولكن أعدك بأني سأبقى على اتصال بك كل يوم
- ولكن لا أريد الذهاب وحدي !
- هناك زميلتان سيكونان معك في السكن ، لقد تصرفت بكل شي يا حبيبتي لا تقلقي (ثم أضاف مازحًا) ولكن يا حبيبتي لا تنظري للشبان هناك فأنا أغار
- ولما أنظر لهم وعندي أجمل شاب ؟

***

لم أستطع النوم في الليل من كثر التفكير ، صحيح بأني أتمنى الذهاب لمعهد لتعليم الرسم ولكن لا أريد أن أبتعد عن أيمن

والدي .. رغم قسوته إلا إني اشتقت له كثيرًا ، أخبرني أيمن بأنه بعد غد سأذهب لكندا فغدًا سأزور والدي وسأطمئن عليه

- ألم تنامي بعد ؟ كفاك تفكيرًا وأخلدي للنوم
- حسنًا
- قبل جبيني : تصبحين على خير .. أحبك

في الصباح ..

رتبت حقيبتي وكانت تنقصني بعض الحاجيات فاقترحت على أيمن بأن نتناول الغداء عند والدي ومن بعدها نذهب للجمعية لأشتري ما

ينقصني ، ولكنه رفض وأصر أن نتناول الغداء وحدنا في الخارج فوافقت لرغبته فغدًا لن أراه في هذا الوقت

ذهبت للمطبخ وفي نيتي أن أطبخ فمنذ شهور لم أطبخ بسبب خوف أيمن أن أتعب ولكني في هذه المرة أصررت أن أطبخ دون علمه ، فهو الآن يستحم ومن عادته يتأخر كثيرًا وحاولت أن أطبخ شيءً ينتهي بسرعة " ورق عنب – بشميل " وضعت المعكرونة على النار وبدأت بتجهيز " ورق عنب "

- ياه ! ما ألذ هذه الرائحة ، من المفترض أن أغضب ولكني اشتقت لطباخك
- ما رأيك أن تساعدني ؟
- وما الذي أستطيع القيام به دون حرق ؟
- ضحكت : لا لن تطبخ .. فقط عد عصير البرتقال
- لا بأس ..

استغرقنا ساعة ونصف ونحن نجهز كل شي ومن بعدها غادرنا من المنزل قاصدين " منتزه خليفة " في الحد .. كم أحب هذا المنتزه.

كان الوقت رائعًا وبالعادة الأوقات الجميلة تنتهي بسرعة .. حينما انتهينا من الغداء تحدثنا عن ذكرياتنا في الآونة الأخيرة وضحكنا على كل ذكرى في حياتنا ، من بعدها رأينا فتاة تركض باتجاه والديها فأزداد الحنين للجنين الذي ينام بداخلي : أزهار .. ستزهر حياتنا بوجودها ، سنزداد سعادة وحبًا ..

- آه على عنادك ...
- قاطعته : لا تبدي الآن معي ! قلت لك لن أسميها خاتون ..

وتعاركنا من الجديد ..

بعد أن انتهينا نهضنا متجهين لمنزل والدي ..

- أيمن .. أرجوك لا تخبر أبي عن سفري لكندا ، أرجوك
- لماذا ؟ هل هناك شي ..
- لا .. ولكن أبي يعارض فكرة الرسم
- ولماذا ؟ الأمر عادي ويجب أن يفتخر بك
- أيمن أرجوك ... لا أريد أن يعلم أبي بهذا الأمر
- حسنًا كما تشائين

وصلنا لمنزل ..حاولت أن لا أبيّن لأيمن رجفة أضلعي حينما لمحت منزل .... أمير ! اصطنعت الفرح ودخلت للمنزل حينما فُتح الباب ولكن ما صعقني هو ....

- من أنتي ؟!
- نزل أبي من الدرج وهو يقول : نسرين .. زوجتي الثانية
- حاولت تمالك نفسي : مـ ... مرحبا !
- نسرين ببهجة : أذن أنتي نبراس الذي حكى لي والدك عنك ! لقد أحببتك كثيرًا من خلال ما سمعته عنك ، آه .. وأنت أيمن زوجها ؟ تفضلوا تفضلوا
- زاد الله فضلك يا زوجة عمي

جلست على الأريكة كالغريبة .. نظرت لعين أيمن وسألته بهمس : لماذا لم يخبرني أبي أنه تزوج ؟

مسك أيمن يدي ومسح على خدي بلطف : ربما يريد أن يكون سرًا

- ولكني أبنته !

مسك يدي بقوة وحاول تهدئتي ، تقدمت منا نسرين ووضعت أمامنا الحلوة والقهوة : في أيّ شهر أنتي ؟

- في الشهر الخامس

تحدثنا كثيرًا وبداخلي حديث كبير عريض لا يتلخص أريد أن أرمي به أبي ، كيف له أن يتزوج دون أن يخبرني ؟ وهو لم يخبرنا عن الحقيقة .. هل والدتي ماتت ؟ وأين هو أخي .. لماذا أبعده عني ؟ ولكن حاولت تهدئة نفسي وما من لحظات إلا وأستأذن من أبي للذهاب لغرفتي ، أعطاني المفتاح بكل جفاف ..

ركبت السلم بتردد وشيء من الخوف ، حاولت التماسك وصعدت للأعلى .. نظرت للممر وتذكرت موقف سعد وهو يترجى من والدي البقاء في المنزل .. سعد اشتقت لك

دخلت الغرفة وأنا ألمح كل زاوية أتذكر ما جرى لي فيها .. نظرت للزاوية التي دائما أبكي فيها .. وذاك الكرسي ؟ كنت أركب فوقه لأضع حاجياتي في رفوفي .. كنت قصيرة آنذاك ، وهذا المكان ؟ تلفت فيه روحي .. في هذه البقعة من غرفتي بكيت فيها بحرقة .. ولماذا ؟ لأنه أبي ضربني وشتمني ومزق أحلامي.. مزق رسوماتي .. مزق هداياتي " رسومات أمير " و آه يا أمير كم اشتقت لك

غريبة هي الحياة .. تأخذ منا شخص وتهدينا شخص آخر

والقادم ؟ ربما يكون مؤلم ..

أيمن .. أخبرني

كيف أتحمل بعدك عني .. كيف أسافر وحدي ؟

نحن روح واحد كيف ننفصل ؟

الحياة من بعدك سوف تكون قاسية ..

لا تسألني كيف سأتحمل .. فجسدي سيسافر

أما روحي وقلبي وعقلي سيكونان بقربك

بقربك ..

الفصل السابع ..

في الطائرة .. أهدر دموعًا أكثر وأكثر حينما أرتفع عن الأرض ، "أمل .. سوزان" زملائي الجدد في السكن ، حاولوا كثيرًا تهدئتي وفشلوا .. هم لا يعلمون ما بي ، أنا أحتضر ..

- أمل : هيا أمسحي دموعك ، في كل شهر تستطيعين زيارته
- سوزان : تركك زوجك في ثانية وبكيتي ؟ إذن ماذا أقول أنا ! فقدت خطيبي بحادث سيارة قبل شهرين ومازلت صابرة

إذن جربت ألم الموت كما جربته أنا ! آه لو يعلمون إني أبكي حسرة على أمير وليس أيمن .. لم يسمح لي أيمن بالذهاب للمقبرة فقال لي بأن الطائرة ستقلع ويجب الإسراع ، أشكر الإله بأن لا يعلم بأني أذهب للمقبرة لحبيبي وليس لصديقتي ! اليوم هو ذكرى وفاته واعتدت أن أذهب له في ذكرى وفاته كل سنة .. اشتقت لك أمير

***

غطت في سبات عميق ، أيقظتني ضجة الفتيات وهن ينزلن من الطائرة ، حاولت أن أجمع قواي وأنزل معهن فسقطت وتعثرت حاجياتي ، لملمتها ولحقت بهن ، دخلت إلى السكن ولم أعر انتباهي لأي شيْ ، فالفتاتان أعجبتا بالغرفة وأطلقا صيحة : كم هي رائعة ! نظرت للغرفة جيدًا ولم أجد شيء يعجبني ، ففي كل نظرة أرمق بها أرى حبيبي الراحل عن هذه الدنيا ، أخرجت هاتفي لأزيل عني هذه الأحزان التي باتت تثقل قلبي ، اتصلت به مرارًا وأرسلت له الرسائل ولم أجد جوابًا ، قلقت عليه كثيرا فأنا لا أقوى بعده عني ، لاحظت "

أمل " قلقي وأتت لتربت على كتفي قائلةً : ما بك عزيزتي ؟ ألا يجيب على رسائلك ؟ فالوقت هنا يختلف كثيرا عن وقت بلدتنا ، عندما يرى رسائلك سيجيب عليها حتمًا ..

حاولت النوم تلك الليلة ولم استطع فالأفكار تأخذني هنا وهناك ، هل حقًا لم يرى رسائلي ؟ اشتقت له فبالحقيقة اليوم لم يوصلني للمطار معتذرًا لعمله المتراكم .. أممم والمعهد؟ هل سأفشل فيه أم سألقى صعوبات عديدة ؟

ومن بين أفكاري غفت عيناي ..

في اليوم التالي استيقظت مبكرةً لأني معتادة أن أستيقظ في هذا الوقت كل يوم " الرابعة صباحًا " فتحت هاتفي وعبست عيناي لأنها لم ترى رسالة من الحبيب فذهبت أعد للفتاتين الإفطار ..

أمل ستدخل لتخصص تصميم الأزياء لحبها الشديد بالموضة أما سوزان ستدخل لتخصص العزف .. فهي كانت تردد : " الموسيقى تطهر الروح من الأحزان "

وبعد فترة بسيطة استيقظتا الفتاتان وتناولنا معًا الفطور وحينما انتهينا ضللنا نفكر ماذا سنفعل طيلة اليوم ؟

- بما أن الغد سنذهب للمعهد فما رأيكم أن نذهب للتسوق ؟ سنشتري فساتين جديدة وبعض مساحيق الماكياج

كان هذا اقتراح أمل ..

- لا لا ! لا داعي للتسوق فسنتعب ونريد أن نذهب غدًا للمعهد ونحن نشيطات

استغربت من انفعال سوزان ولكن لم أعلق على أي شيء

- أذن ماذا سنفعل ؟ ما رأيكم أن نتمشى قليلًا في الخارج .. فالجو جميل هنا
- أحببت الفكرة : لا بأس هيا بنا نخرج قبل أن تأتي شمس الظهيرة
- سوزان : حسنًا ..

بعد ما استعدنا للخروج تذكرت لحظاتي مع أيمن ، كنا نتمشى سويًا في الحديقة وثم نتناول الغداء معًا .. كم اشتقت له

وضعت سوزان يدها على بطني وهي تضحك : الجنين يتحرك ، الشيء ممتع " تنهدت " كنت أحلم بطفل يجمعنا

- أنت فتاة جميلة وعمرك صغير وبالتأكيد ستتزوجين مرة أخرى وسيكون لديك أجمل طفل

أضافت أمل بعض العبارات التشجيعية ومسحت الحزن من الجو ، ولكن أحزان القلب لا تُمسح ..

ضللنا نتمشى ونلتقط صورًا تذكارية وحينما تعبت جلسنا على كرسي نتحدث عن أنفسنا وعن عائلتنا وأما سوزان اعتذرت منا والتزمت الصمت ، ما أمر هذه الفتاة ؟ لماذا لا تريدنا أن نعرف عنها شيئًا ؟!

نظرت لساعة يدي وأخبرت الفتاتان بأن بقية نصف ساعة على آذان الظهر فأسرعنا بدخول الفندق لأداة الفريضة ، اكتشفنا من بعد أداء الصلاة بأننا مختلفون في الديانة ، ولم نتكلم عن هذا الموضوع لأنه

الأهم هو أننا مسلمين ونعبد الله وقدوتنا هو رسوله عليه الصلاة والسلام .

***

اليوم أول يوم لي في المعهد ، لا أعلم لماذا توترت .. ربما لست متعودة على الاختلاط ! ودعت سوزان وأمل واتفقنا على مكان نلتقي به عندما ننتهي ، دخلت للصف واخترت المقعد الأمامي بجنب فتاة أجنبية يبدو شكلها صغير ، أعتقد بأنها بنفس عمري .. دخل الأستاذ من بعد دخولي بخمس دقائق ، بدء يعرف عن نفسه وعن طريقة دراسته وما هي الأدوات التي نحضرها في الحصص القادمة ، أخبرنا بعدد الحصص التي نحضر لها في يوم وكم من الساعة تستغرق ومن بعدها طلب منا ... :

Teach John : After what I knew of it to myself .. I want to let you know that my teaching method is very different, it is true that the first day of the vacation, but I would not go out now

Kevin : why ?

Teach John : because I want to know your talents before teaching you in the coming days, now I will distribute papers and draw whatever you want

حاولت أن أخرج أبداعي في الورقة التي أمامي ، فكرت ماذا أرسم ؟ بحيرة صغيرة وفتاة تركض حولها وشعرها يتطاير خلها .. بدأت

بالرسم والأستاذ يحوم حول الطلبة ويعلق على رسوماتهم وحينما أقترب جنبي توترت كثيرًا : Do you entered the cycle learn drawing before ?

- No , why ?
- Because you is very creative ! I’ve never seen before with this girl paint creativity , what is your name ?
- Nebras
- Raise my painting, saying : look to the plate creative Nebras

اندهشوا الطلاب لما رأوه في الورقة والتجمع الكل حولي معجبين بأدائي الرائع ومن كل صوب أسمع تلك الكلمات التشجيعية :

- It’s very nice ! …… wow ….. beautiful ….. cute ……

حينما انتهى الوقت خرجت من الصف بفرحة لا أستطيع أن أصفها لكم ، ذهبت لسوزان وأمل بالمكان الذي اتفقنا عليه وسألوني عن سبب فرحي ورويت لهم ماذا حدث وكيف الطلاب تجمعوا حولي وعلقوا على رسمتي

- سوزان : عدد ساعات دراستي هي أربع ساعات في اليوم ، من بين كل ساعتين راحة لمدة ساعة ، يعني مجموع أوقات دراستي هي خمس ساعات

- أمل : أنا مجموع عدد ساعات دراستي هي ست ساعات ! وراحتي لمدة ساعة ونصف ، وعلى فكرة لدي خبر جميل سأخبركم إياه حينما نعود للفندق
- لنذهب لسوق ما فأنا أحتاج أغراض عديدة للرسم
- سوزان : وأنا أحتاج أداة موسيقية " قيتار "
- أمل : حسنًا .. أعرف محلات قريبة من هذه المدينة تبيع أدوات موسيقية ومستلزمات الرسم .. نذهب الآن أم في الليل ؟
- أفضل الآن ..

ركبا سيارة أجرة وانتقلنا لمدينة قريبة استغرقنا ثلث ساعة للوصول لها ، اشترينا ما يلزمنا وحينما وصلنا للبائع باتت سوزان متوترة كثيرًا وطلبت منا أن ننتظرها في الخارج ! حاولت المعرفة ما يحدث لها ولكن لم أحب التطفل فابتعدت بكل هدوء وأما أمل ذهبت لسيارة الأجرة ووضعت ما أشترته في الصندوق وفعلت أنا مثلها وانتظرنا سوزان بداخل السيارة .. وحينما وصلت سوزان انطلقنا للفندق

ونحن بداخل السيارة كنا ملتزمين بالصمت فكسرت أمل صمتنا وأخبرتنا بأن هناك مسابقة لأجمل مصممة وقد اشتركت في المسابقة وكان أملها كبير بالفوز ..

في منتصف طريقنا وصلتني رسالة ففتحتها بسرعة البرق

الرسائل الواردة

من : My Heart

اعذريني غاليتي .. ليلة غد كنت في اجتماع هام ولم أستخدم هاتفي آنذاك .. ما هي أحوالك ؟ والفتيات ؟ أ أنتي مرتاحة معهن ؟ أخبريهم

بأن يعاملوكِ كأميرة فأنتي أميرتي ولا أريد أن أراكِ تعملين بالمطبخ أو في الغسيل فأميرتي لا تعمل والأميرات يعاملوهن أفضل معاملة وبالطبع لا يوجد أميرة غيرك في هذا الكون .. وما هي أخبار المعهد وأستاذك ؟ أريد أن تكوني أفضل رسامة في الصف .. حين ترين رسالتي أريدك أن تبتسمي ولا أريد أن تزيني عينيك بالدموع .. أراكِ لاحقًا .. إلى اللقاء أميرتي

الرسائل الصادرة

إلى : My Heart

عزيزي .. ألا تعلم بأن المكان موحش بدونك ؟ البارحة تعذبت كثيرا لبعدك عني وقلقت عليك فأرجوك لا تبتعد عني وأبقى بجانبي

وبدء العاشقان يسردون تفاصيل عذاب شوقهما ..

***

شيء ما يتسلل لأصداغي ويزعجني ، فتحت عيني بتكاسلٍ شديد ، رمقت رموشي عدة مرات فاتضحت الرؤية ، قمت بفزع وقلت بصوت منخفض : ماذا بك عزيزتي ؟ لماذا تبكين ؟

- اشتقت لخطيبي
- وضعت رأسها على كتفي ومسحت على شعرها : أخرجي كل شي بقلبك لي ..
- ماذا أقول لك ؟ هل أحكي عن طريقة تعارفنا .. هل أحكي لك قصص لقائنا المتكررة ؟
- كل شي عزيزتي .. كل شي

- كان يوم عيد ميلادي ، أجبرتني صديقتي أن أذهب معها أحدى القاعات مدعية بأن أختها ستقيم حفلة بمناسبة زواجها ، ارتديت الفستان الذي أهدتني إياه .. كان قصيرًا وباللون الأحمر ، دخلت القاعة معها والمكان يضج بالموسيقى الكلاسيكية وأصوات صديقاتي من كل صوب يهنئوني بعيد ميلادي ، استمتعت بالحفلة ولم أعر انتباهي للعازفين ، ولكن حينما انتهى الحفل ودقت الساعة الثانية عشر من منتصف الليل هم الجميع بالخروج ، والعازفون كذلك .. ما عدا واحد ! أتى لي وهنئني بعيد ميلادي ، قالت صديقتي مداعبة له : لماذا لم تحضر لصديقتي هدية ! ضحك وثم ألتقط وردة فوق الطاولة واهداني إياها وقبل أن يذهب شكرته .. ولم يخبرني باسمه
وبعد عدة أسابيع أخبرتني صديقتي بأن هذا الشاب أتصل لها وأخبرها بأنه سيقيم حفلة بمناسبة تخرج أخيه وأعطاها ثلاث تذاكر ، ذهبت أنا مع صديقتي وأختها الكبرى وحينما لمحنا أتى ناحيتنا وألقى التحية وضللنا نتحدث عن أمور متفرقة ، أقام الحفلة بشكل رائع وكان أداءهُ فضيعًا ، شكرته على دعوة وسألته عن أسمه فأجابني بكل رقة " حامد " وقبل أن أذهب طلب مني أن نلتقي غدًا في الشاطئ فسألته لماذا ؟ فأخبرني بأن عيني فضحتني وهو يعلم بأني أود تعلم العزف فخجلت وقلت له لا أريد أن أتعبك ولكنه أصر على لقائنا ، فأصبحنا نلتقي عدة مرات وأتعلم منه العزف وكان من بين أوتار عزفنا أعجاب لا نعلم من أين أتى ، فأصبح لقائي له للتعلم ولقائه لي ليسرق قلبي ، ووقعت في حبه بسرعة .. ولكن كان حبنا طاهر فهو كان يفكر بالزواج وأتى لخطبتي وكان دائما يردد " أريد أن أصبح

عازف مشهور وكل شخص في هذه المملكة يعرفني وحتى خارج المملكة " تعلقنا ببعضنا كثيرًا وكنا نخطط للزواج ، ذهب صباحًا لمحل يبيع فساتين راقية فأتصل لي وأخبرني بما شاهد وطلب مني أن أزين نفسي ليصطحبني معه .. انتظرته .. وطال انتظاري لأسمع بخبر وفاته ، أبكي كل يوم بحرقة .. أنظر إلى " قيتاره " وأتألم أكثر ، تذكرت حلمه وقررت أن أحقق له حلمه وأصبح عازفة مشهورة .

بدأت تحكي لي الكثير والكثير ، حكت لي كيف صارحا بعضهما عن الإعجاب الذي يحوم حولهم كلما التقيا .. ولكن أنا ؟ ذهبت لعالمي .. تذكرت ما حدث لي مع أمير ، تذكرت كل شي وبدأت دموعي تسقط مع دموعها .. أ أحكي لها ليخف ألمي وأشاركها همومي ؟ أم ألتزم الصمت ! فماذا سأستفيد ؟ .. لا أحد سيشعر بما أشعره .. فهذه همومي ووحدي سأتألم بها

يا ماضيًا حل ذاكرتي

أرجوك أبتعد ولا تعد ..

الفصل الثامن ..

ها قد مرت ثلاثة أشهر وانتهى أول فصل لي في المعهد ، في بداية هذا الشهر أخبرني أيمن بأنه مضغوط بالعمل ولا يستطيع محادثتي والآن سينتهي الشهر ولم أتحدث معه ..

- نبراس هل ستعودين للمنزل أم ستبقين مع سوزان ؟
- سأذهب
- حسنًا .. أنتي رتبي أغراضك وأنا سأحجز التذاكر

سأذهب للمنزل لعلى مجيء سيفرحه ..

سأخبركم عما جرى لي في تلك الشهور الثلاثة ، تطور رسمي كثيرًا والأستاذ جون أخذ جميع رسوماتي وعلقهم في مكتبة وكان معجب بإبداعي كثيرة ودائم المدح عني عند زملائه الأساتذة ، واقترحوا سوزان وأمل وبقية زملائي في الصف أن أقيم معرض لرسوماتي وأحببت الفكرة كثيرًا

ودعنا سوزان وأعطتني ظرف وكتبت به عنوان منزل والدها وأوصتني جيدًا أن اسلم الظرف لوالدتها بيدي فهي تثق بي كثيرًا ، كانت تتمنى أن تأتي معنا ولكن ظروفها المادية لا تسمح لها ..
أتذكرون حينما ذهبنا إلى سوق واشترت سوزان " قيتار " وأخبرتنا أن ننتظرها في الخارج ، فهي كانت تخبر البائع بأنها لا تستطيع دفع مبلغ كله ، فدفعت نص المبلغ والباقي ... الباقي أصبحت تعمل عنده بالسر دون علمنا ، أصبحت تعمل يوميًا ومبلغ عملها تعطيه البائع ..

علمنا بكل هذا مؤخرًا ! فكنا في وقت الاستراحة ننتظرها ولا نراها فتكذب علينا وتقول بأنها تتعلم دروس أضافية عند أستاذ آخر .. سألنا أحد زملائها في الصف عن عدد ساعات الراحة فأخبرونا " 3 hours" ! أمور كثيرة حدثت في تلك الشهور ، قد تعبت وأعتقد بأن بقية القليل وأولد .. وأمل .. أتذكرون المسابقة الذي أخبرتكم بأنها ستشترك فيها ؟ لقد فازت ، وخرجنا معًا نحتفل بفوزها وأمضينا وقتًا رائعًا ..

ركبنا الطائرة والتزمنا الصمت ..

وضعت يدي على بطني وبدأت أتحدث مع حبيبتي أزهار .. أحكي لها عن ذكرياتي الجميلة مع والدها وكيف اشتقت له ، أخرجت من حقيبتي لوحة صغيرة رسمتها مؤخرًا " والدان يمسكان فتاة حديثة الولادة وحولهم أزهار وأعشاب " تلك الأزهار تشبهك كثيرًا ولكن أنتي أجملهم بالتأكيد

وصلت للمطار واتصلت على أيمن ولم يرد عليّ .. ركبت سيارة أجرة وكلي ألم لهذا البعد و ... الإهمال ! طلبت من السائق أن يأخذني للمقبرة ، وحينما وصلنا هرعت لقبر حبيبي الراحل وبكيت بحرقة وبدأت أسرد له تفاصيل أيامي في تلك الشهور التي غبت عنه .. أخبرت أيضًا بأني أشتاق إليه في يوم مائة مرة .. أخبرته عن دموعي التي تنزل تلقائيًا حينما أفكر به .. أخبرته بكل شيءٍ بقلبي حتى أعترى ..

إلى ذاك الذي أعترى قلبي وأستوطنه
ومن بعدها دفن قلبي معه ..

أخبرني كيف أنساك ؟ ففي بعدك
أسودت الدنيا بعيني

في طريقي للمنزل تذكرت أمر هام لم أخبركم عنه يتعلق بـ" سوزان " ففي كندا كان يقام في كل شهر مسابقة أفضل عازف ، فكانوا الطلبة في كل الصف يتحدون بعضهم ويخرج أفضل عازف لينافس بقية الصفوف ، وكان عدد صفوف الموسيقى هي أربعة صفوف وكل صف بداخله عشرون طالب .. وكانت سوزان متيقنة بأنها ستفوز وكان أملها كبير جدًا ، وفازت على الصف ولكن بقية الصفوف لم تستطع منافستهم ، فكانوا أفضل منها بكثير ، حزنت كثيرًا ولم يطل حزنها فبسرعة البرق زال حزنها وبدأت تضحك وهي تقول : في مرة القادمة سأفوز بالتأكيد ومن اليوم سأبدأ بتمرينات تساعدني على العزف بمهارة أكبر . وأتى الشهر الثاني وبكل سرور شاركت بالمسابقة ولكن هذه المرة لم تفز على صف ! فكانت صدمة كبيرة عليها .. وفي الشهر الثالث لم تشارك في المسابقة وبدأت تبكي وتقول : أنا حظي هكذا ، لست ماهرة ولست موهبة فلماذا أشارك ؟ هل أشارك من أجل أن أتحطم أكثر ؟ فالهزيمة والفشل أمران متعبان جدًا ..

حاولنا أن نقنعها أن تشارك في مسابقة هذه المرة وأن تتعلم تمارين أضافية أكثر لتكسب مهارة عالية ولكنها رفضت أن تستمع لنا ، ففكرت مليًا كيف لي أن أسعد قلب فتاة قد سكنه شاب وأندفن فيه ؟ كيف لي أن أسعد تلك الجميلة القابعة في سريرها وتشكي للوسادة همومها ؟ كيف لي ..

ناديتها .. وطلبت من أمل أن تجلس معنا وأخبرتهم بأن لدي حديث بسيط لهم وللناس عامة !

- دعونا نرجع للماضي .. ليس ماضينا ! بل ماضي العلماء
هل سألتم أنفسكم مرة .. إذا العالم فشل في تجربة ماذا يفعل ؟
وهل يعيد التجربة أم يتركها ؟
حسنًا .. لو فشل عشرات المرات في التجربة ؟ هل سيشعر باليأس ويتركها ويذهب لتجربة أخرى ؟ أم سوف يستمر في التجربة الأولى !
الجواب ..
حياة العلماء تجارب .. ويفشلون بالتجربة كثيرًا .. ويليهم فشل أكبر وتحبيطات من كل جانب من الناس
ولكن الإصرار موجود في قلوبهم
فهم لم ييأسوا من أي تجربة ويجدون لها حلاً مناسبًا ويفكرون كيف تنجح هذه التجربة
ونحن ؟ ناس
عاديون جدًا
حينما نفشل مرة ، لا نعيد الكرة
نضع لنا حواجز عديدة أمامنا حينما نفشل ولا نفكر كيف سنتخطى هذا الفشل
فقط نجلس مكتئبين نفكر بذالك الحلم الذي فشلنا به
ولماذا لا نفكر كيف سنحققه ؟
لماذا دائمًا الفشل يصنع لنا حواجز تمنعنا من تحقيق أحلامنا ؟
لا .. ليس الفشل من يصنع لنا الحواجز بل نحن من نصنع بنفسنا تلك الحواجز
نحن من نحبط نفسنا .. ونحبط أنفسنا أكثر حينما نستمع لأقاويل البشر

فكروا معي ..
لماذا لا نصبح كالعلماء ؟
ولنقل في أنفسنا .. فشلنا مرة ومرتان .. وفي المرة الثالثة سوف ننجح بالتأكيد ! فالفشل يصنع الإصرار
والإصرار مع التحدي يحقق الحلم ..

تعجبوا بكلماتي وأعطيت سوزان دافع لها فحاولت أن تتمرن أكثر لتحقق حلمها .. وحلم خطيبها !

وهل للحلم أن لا يتحقق ؟ فمبروك عليك الفوز يا صديقتي بلقب أفضل عازفة في موسم 2014 ! وفي شهر ديسمبر بالتحديد ..

الفصل التاسع ..

يا عين لا تناظري الخيانة إذا كانت في غيابك

يا روح لا تبكي على ما فات في زمانك

ويا قلب .. أبتعد عن شكوكك

فالحبيب أبدًا لن يخونك ..

قميص حريري فوق سريري يفوح منه رائحة كلا الجنسين من أنثى وذكر ، قميصٌ ليس ملكي يتراقص فوق سريري .. قميصٌ لم أراه من قبل ، ربما .. ربما هو قميص للخيانة فقط

حاولت أن أبعد تلك الأفكار من مخيلتي ، ربما صديق ما كان هنا مع زوجته ! هه ما هذه السذاجة .. وما دخل الصديق أن يأتي لمنزلنا ! حاولت أن أستوعب ما يحدث .. ربما كان قميصي وبسبب ضغط الدراسة نسيت .. ربما كان عطري ولم أضعه لي منذ زمن فنسيت رائحته .. ربما .. ربما ....

- أحبك .. حسنًا غدًا ألتقي بكِ

وقف قلبي وأنا أسمع صوت خطواته الرجولية تأتي من ناحيتي والباب من خلفه قد تسكر ، وقف وهو ينظر ناحيتي بذعر وكأنه رأى وحش ! توتر وأغلط الهاتف بسرعة وثم حضني بقوة وهو يهمس لي " احبك .. احبك .. احبك .. اشتقت لك حبيبتي والله يعلم بمقدار شوقي لك "

- لا أظنك تعلم بمقدار شوقي لك
- ومن بين رجفة صوته وتوتره : ما رأيك أن نخرج ؟

طول طريقنا التزمنا الصمت .. هو على ما أظن يفكر بكذبة ليزيل شكوكي الذي لمحه من عيناي .. أما أنا كنت أحاول التهرب من شكوكي وأبحث عن عذر لما رأيته وسمعته

- هل تحبني ؟

- وهل ستصدقنني حينما أُقول بأني مجنون بكِ !
- هل سيأتي يوم وتتركني ؟
- هل تشكين بذلك ؟ ولكن أخبريني .. كيف للنبض عن ينفصل عن قلبه ؟

قبلت خده وتمنيت من قلبي أن لا يتركني حقًا .. تمسكت بيده جيدًا وهمست له : " لا تتركني "

***

لم أستطع النوم تلك الليلة ، أنا أثق به كثيرًا وربما ما سمعته أذناي سوى أوهام ! أنا حقًا أثق به حتى لو رأيت الخيانة بأم عيني ، هو يحبني ! رأيت الحب في عينيه .. فاللغة العين لا يعرفها سوى العشاق

اليوم التالي ...

استيقظت من النوم وتفحصت سريري بدقة ولم أجد له أثر ! اختفى بلمحة بصر ... فبالأمس كان معي ويتغزل بعينيَّ ويخبرني عما فعله في غيابي وكيف أعتاد النوم بدوني وتناول الطعام بدوني ! كان يخبرني بكل شي وشعرت بأنفاس الكذب تخرج منه ..

نهضت من السرير فرأيت رسالة ملصقة على المرآة ، وكان محتواها
“ Do not wait me at lunch and dinner .. because I will be late in my work “

وما زادتني العبارة إلا شكًا آخر ، اتصلت على أمل وأخبرتها بأن تأتي للمنزل ونتناول الغداء معًا .. فاشغلت نفسي بالتصفح في

المجلات ومشاهدة أخبار العالم .. حاولت أن أزح كل فكرة تحوم حول عقلي من شكوكِ ولكن لم أستطع ..

لم أستطع إعداد وجبة الغداء فوصيت من المطعم أن يحضر أجمل طبق أرز لديه وبعض السلطات والمقبلات

وحينما وصلت أمل استقبلتها بحرارة وبدءنا نتناول الغداء ونحن نستمتع بمشاهدة مسلسل خليجي ومن بعدها تناولنا الحلوى وبدءنا نسترجع ذكرياتنا في كندا ، فجأة داهمتني أمل بسؤالها وبدأت صامتة أفكر هل أقول لها أم لا

- ماذا بك ؟ أشعر بأنك لست على ما يرام .. هل هناك شيء يقلقك ؟

نظرت لعيناها فأعطتني الأمل بحفظ سري ، أخبرتها عن شكوكي وعن ما رأيته وسمعته ، أخبرتها عن رسالته لي في الصباح

طمأنتني بأن ما سمعته مجرد هلوسة التعب وما شاهدته ربما كان ملكي ونسيته ، وعن رسالة الصباح كان يريد أن يطمئني وكل رجل أعمال يصاب بالضغط في العمل وخصوصًا بأنه مدير الشركة ، أعطتني أمل لقلبي ..

خرجنا نتمشى في باحة منزلي وبدءنا نتحدث بكل ما يسعد نفوسنا .. وأبعدنا عنا الأحاديث الذي تكدرنا ، وحينما غادرت ضلت كلماتها تجول بذهني لساعات .. فأيقنت بأن كلامها صحيح وأن مجرد شكوكي بسبب الغيرة والقلق فلماذا يخونني أيمن ؟ " فتذكرت ارتباكه حينما رآني في المنزل " شيء طبيعي فهو لم يكن يعلم بحضوري

وتفاجئ ! أنا لا أبرر ولكن بالتأكيد كل أفكاري كانت بسبب غيرتي وحيرتي لانشغاله

***

حينما قاربت الساعة التاسعة ونصف ولم يأتي أيمن قررت أن أخلد للنوم ، فلست متعودة على السهر وهو قد تأخر كثيرة ، أدرت الهاتف على رقم هاتفه :

- أيمن ..
- مرحبا عزيزتي
- أيمن اشتقت لك كثيرا أرجوك لا تتأخر
- اعذريني سأتأخر كثيرا لا تنتظريني
- حسنًا .. أنتبه لنفسك وللطريق
- لا تقلقي .. أحبك

حزنت نوعًا ما وقررت النوم ، ولكن حينما حاولت النهوض أحسست بتوعك وألم فضيع في ظهري ، تمددت على الأريكة وحاولت أن أغفو عليها

أحسست بذراعين حنونة تحملني .. أحسست بصدر حنون يحتضنني ، فتحت عيني بتعب لأرى من أحب يبتسم في وجهي فتمسكت به بقوة وتشبثت عليه : اشتقت لك أرجوك لا تتركني بمفردي مرة أخرى . وضعني على سرير وهو يقبل جبيني ووضعني في حضنه وبدء يمسح على شعري إلى أن غفت عيناي بلا شعور ..

استيقظت ورائحة العزيز تحتويني ، كان نائم وهو يضمني آه على غبائي حينما ظننت بأنه يخونني ، رأيت لساعة هاتفي وإذا بي ألمح رسائل عديدة ففتحتها على الفور

- كالقمر نائمة بقربي ، ضللت طوال الليل أتغزل بعينيكِ الجميلتان ، أحبك ..
- دائمًا ما أسمع من أفواه أصحابي بأن الفتاة حينما تحمّل ينقص جمالها ولكن أنت ازددت جمالاً
- متى ستستيقظين ؟ فلقد أرهقني نومك الطويل .. أتعلمين حينما غفوتي بدأت أتحدث مع أنفاسك وأخبرها كم أحبك ؟
- اشتقت لذكرياتي معك .. متى نعيدها ؟ أريد الذهاب للتنزه معك ، ونتناول العشاء في المطاعم ، أريد ركوب " الطراد " معك !

ورسائل عديدة ..

ندمت في هذه اللحظة على كل كلمة شك خرجت من حنجرتي ، نظرت إلى جسم الحبيب وعيناي مغرقتان بالدموع .. قبلت جبينه ومسحت على شعره وأنا أنثر عليه اعتذاري بهمس ومن بعدها حضرت وجبة إفطارٍ خفيفة ..

حينما أستيقظ تحدث معي بمواضيع مختلفة ومختصرة ثم تناول معي الفطور ورحل وهو يودعني بأنه سيعود في المساء مبكرًا
وسيصطحبني في نزه لنعيد ذكرياتنا الجميلة ، عدت لغرفتي أفكر ماذا أفعل اليوم .. لمحت حقيبة السفر وتذكرت الهدايا التي اشتريتها وتراءت لي رسالة سوزان التي وصتني أن أصلها لمنزل والدتها ، نظرت للساعة وقررت أن أذهب بعد ساعتين فهي لحد الآن لم تتجاوز السابعة صباحًا .

أشغلت نفسي بأمور عديدة لعلى الوقت يمر بسرعة ..

أحببت شخصًا يساوي لي الحياة كلها .. ولكن لا أعلم ماذا أعني له

لا أعلم إذ كان يفكر بي مثلما أفكر به

لا أعلم .. لا أعلم شيئًا عنه

فقط أعلم بأن قلبي قد ولد له .. بأن نبضاتي تخفق عند سماع حروف اسمه .. بأن أنا لا شيء عنده !

دائما ما أفكر " أنا لست متأكدة إذ كان يحبني أم لا فلماذا أعيش بأوهام وأصنع حكايات معه قبل النوم ؟ " ولكن ماذا عساني أن أفعل إذا قلبي أراده نبضًا له ؟

الفصل العاشر ..

أشباهك أربعون

ولكني أميزك عن البقية ..

Wherever you are I'll find you

Cause you're the one I turn to

Wherever you be I'll be with you

Cause you're the one my heart is to

I need you …

حينما أستمع إلى هذه المقطوعة

أشعر بأن روحي تحتضر

نغماتها الإيقاعية عنيفة على قلبي

وكلماتها تحطمني ..

أحتاجك .. كلمة مشتقة من احتياج

والكثير منا يحتاج لأشياء أفتقدها

أما أنا .. ؟ أفتقد أمي .. سعد .. أيمن وأنا

فقدت نفسي .. أصبحت لا أشعر بوجودي

فكانت روحي بقربهم تشعرني بالحياة

أما حالتي الآن .. لا فرق بينها وبين حال الميت

أعطيت السائق ورقة بها عنوان منزل والد سوزان حيث أنني سأذهب لأسلم والدتها الأمانة " الرسالة " أمضيت الطريق كله أستمع إلى " حكاية ناي " وأحسست بأن كلماتها تصف حالتي مع أمير .. فعدت للخلف وأهدرت دموعي ، تذكرت صراخ أبي ورحيل أخي وموت الغالي ، تورمت وجنتاي حتى أشفق السائق عليّ وناولي منديل لأمسح به دموعي

وصلت للمنزل المطلوب وشكرته على حسن معاملته لي ، انتظرت بضع دقائق ليفتح الباب .. رأيت الشخص الذي فتح الباب ووضعت يدي على قلبي وأنا أقبض عليه بصدمة ، حاولت أن أتوازن ولكن أختل توازني وفقدت وعيّ ..

حاولت أن أستوعب ما يحدث .. فتاة صغيرة تنظر إليّ بخوف وامرأة يجتاز عمرها الأربعون ممتدة على حضنها وتمسح على وجهي الماء بقلق .. وشاب يقف وبيده ماء ويبتسم بهدوء .. شاب يشبه أمير !

- هشام ناولني كأس ماء
- تفضلي أمي

شربت الماء وأنا أرتعش كالطير المكسور ، ذاك الشاب قتل فؤادي وعاد بي للماضي الحزين .. عادت الذكريات كلها ولم تشفيني ابتسامته الذي بادرني إياها حينما نظرت له بحزن !

حينما عاد وعي الطبيعي وأصبحت جيدة سألتني والدته عن سبب قدومي ومن أكون ، أخبرتها بسبب المجيء والرسالة التي أحملها لها من أبنتها .. فرحت كثيرًا وأخذت تقرأ بلهفه ودموعها تتسابق مع

محتوى الرسالة ، ذهب هشام مع الفتاة الصغيرة نحو والدتهم ليعرفوا ما دوّن في الرسالة ، بكت الأم وهي تقول :

- كم أنا متعبة لا أتحمل أن أرى أبنتي هكذا ، أتذكر جيدًا كيف كان مظهرها حين توفى خطيبها كانت تبكي كثيرًا ولا تأكل شيءً وعادةً ما نأخذها للدكتور وترقد في المستشفى لساعات وساعات والآن هي تحتاج للنقود ولا أعلم كيف سأصرف لها وأنا ليس لدي نقود تكفيها ، فوالدها لا يعلم عنا شيءً وهو مسافر ، وهشام يحاول جاهدًا أن يعمل ليكسب لنا النقود ، أما أنا فأطبخ وأبيع مأكولاتي لعلى ما أجنيه يكفي فواتير الكهرباء وماء ..
- جلست بقربها أواسيها : لا بأس خالتي أنا سأعطيها النقود
- لا ..
- قاطعتها : أعلم بأنها لا تحب أن تأخذ نقود من أحد ولكني سأخبرها بأن النقود من والدتك
- لا أعلم ماذا أقول .. ولكن هذا عيب كبير
- لا بأس فانا صديقتها المقربة
- سأرد لك المبلغ ...
- قاطعتها مجددًا : لا أريد .. اعتبريها هدية بسيطة مني لها
- أتت بقربي تلك الطفلة الجميلة وقالت لي بحزن : أخبري سوزان بأني أحبها كثيرًا واشتقت لها
- مسحت على شعرها البني : ما أسمك أيتها الجميلة ؟
- سمر ..

ضللت أتحدث معهم بلطف وأسرد لهم التفاصيل الجميلة التي حدثت لسوزان وأخبرتهم بأنها اشتركت في مسابقة للعزف وفشلت وكيف أنها لم تيأس وأصرت على الفوز ، فرحوا كثيرًا حينما علموا بأنها فازت وحققت حلمها نوعًا ما

استأذنتهم فسألتني والدة سوزان على عجل : هل تملكين سيارة ؟

- لا ..
- هشام أبني أوصلها لمنزلها

تقشعر بدني حينما مر بجانبي ، سمعت سمر تخبر والدتها بأنها تريد أن تأتي معنا ففرحت ، تحدثت معها في السيارة لكي يخف إضرابي وتوتري .. أحببتها كثيرًا وتمنيت أن تكون أبنتي جميلة مثل روحها ، طلبت من هشام أن يأخذني لمنزل والدي وحينما وصلنا شكرتهم بحرارة ، ولكن لم أدخل لمنزل والدي ..

طرقت الباب بتوتر .. فتحت آلاء الباب وهي تحدق بي بصدمة ، كانت ستغلقه ولكن دفعت الباب بقوة محاولة التحدث معها

- آلاء .. أنا لا ذنب لي أن الأمر بيد الله وإذا أراد أن يموت عبده فمن نحن لنعترض ؟ وأنتي لا تعلمين كم أعاني ببعده وأنتي بنفسك شهدتِ رفض والدي وإجباره لي على زواج من أيمن ، ألا تعلمين بأني أتعذب كل يوم ؟ ألا تعلمين بأني لا أستطيع النوم من دون التفكير به ؟ ألا تعلمين بأني دائمًا أذهب له للمقبرة

- بسخرية : أُقنعيني بذلك ! وكيف تذهبين وزوجك راضي ؟ هل ستخبرينني بأنه أشفق على قصة حبك معه وسمح لك بالذهاب له كيف ما تشائين ؟!
- هو لا يعلم ، يظنني أذهب لصديقتي .. آلاء هل نسيتني ؟ هل نسيتِ من أكون ؟ ألا تذكرين أيام طفولتنا مع بعضنا ؟ والثانوية ؟ لو كان أمير موجود هل سيفرح لأنك قطعتي علاقتك بي ؟ آلاء .. أ لم تشتاقي لي ؟..

صمت اجتاحنا في تلك اللحظة وتنهيداتها كادت تخرق قلبي .. مسكت بيدها وطلبت منها أن ننسى ما حدث ونفتح صفحة جديدة ، نظرتها لي كانت تجيبني بالـ " موافقة "

فتحت لها ذراعي لترتمي به ولتسكب مياه عيناها في جوفي ولتغرس كلماتها في قلبي ، فحضنتني بكل شوق ..

تحدثنا طويلاً وأخذنا الحديث للماضي ، أخبرتني ما كان يقول أمير لها عني في غيابي .. أخبرتني الكثير عنه ، وبكل كلمة تنطقها تغرس سهامًا في قلبي .. بكينا معًا حتى انتهت دموع عينانا ففاضت دماء قلبينا ، أحسست قلبي سيّنشل من الذكريات فحاولت التهرب من المنزل وأخبرتها بأن زوجي ينتظرني وأعطيتها هاتفي لنتواصل في الأيام القادمة

***

قضيت وقت ممتع مع أيمن ، ذهبنا لأماكن عديدة .. وحكاياتنا كثيرة ، كذبت عليه ليتفاجأ في يوم المحدد : آخر يوم في السنة لن أكون معك .. كم هو مؤسف فلقد أعتدت السهر معك في تلك الليلة من كل سنة

وقررت أن أهديه الهدايا التي اشتريتها له من كندا في آخر يوم من السنة !

الفصل الحادي عشر ..

وكالأسير المسجون
أبحث عنك في الأرجاء .. ولا أجدك
فأين سوف أجدك يا ملاذي ؟

في قلبي الذي كسرته بلا رحمة ..
أم عقلي الذي لا يفكر بغيرك ؟
في عيني التي ملئت بها الدموع ..
أم همساتي التي لا تهذي إلا باسمك ؟

يا هيامي ..
ومن غيرك بحبه أهيم ؟ فكل الحب له
يا عاشقي ..
وهل للعشق أن يكتمل بدونك ؟

يا ملاذي ..
وكيف أشعر بالأمان من دون قربك ؟
فأرجوك ..
لا تتركني للغرباء أحكي لهم ما فعلت بي !

- ماذا فعلتم في نهاية السنة ؟
- أخجل أن أخبركم ..
- أقنعيني ! هيا قولي ما عندك ..
- تقدم لي شاب !
- زغردت سوزان بفرح : مبروك حبيبتي ، ستوافقين ؟
- بالطبع فهو شاب خلوق ومحترم
- أذن موسيقى حفلتك عليّ
- وأنا صممت فستان ولكن أريد رأيكم فيه
- قطعت فرحتهما بهمس خفيف : ستبدأ محاضرتي بعد قليل
- أمل : اسبقينا سنذهب بعدك بخمس دقائق

كانت خطواتي ثقيلة .. كان قلبي ينفطر بألم .. كان صوت عقلي يعذبني .. كفى ! لا أتحمل ما يصيبني .. لا أتحمل هذه الأذية .. هل لي أن أعود للخلف لأعرف سبب ما حدث لي ؟

ولكن .. الماضي لا يعود حتى لو كنت غنية لن أستطيع شراءه ! آه .. والدواء ؟ هل يباع .. هل يباع دواء يشفي جميع جروح القلب .. هل يوجد .. هل يتوافر في الصيدليات ؟ آه .. أحسنت يا أيمن لقد دمرتني .. أحسنت !

الزمن يبقى قاسي .. نستطيع بالأمل أن نبتسم .. نستطيع بالصبر أن نستقوي .. ولكن الزمن يبقى قاسي مهما كابرنا .. الجرح سيبقى نابضًا بالألم .. الجرح لن يتوقف ولن تجفه السنين

يا ترى .. هل هناك شخص سيشعر بنا .. أم هناك شخص سيخفف ألمنا ؟ هل هناك دكتور يفهم تعبنا بدون حديث .. هل هناك ؟ .. أرجوكم دلوني عليه ، وآه واحد لن تكفي ..!

لم تتمالك قدماي الوقوف بثبات .. هزلتا بسرعة وسقط قناع المكابرة .. لم أذهب لصفي وبقيت في مكتبة وحدي أتأمل الكتب لعلها ستزيل جروح قلبي أو تشفيه .. ولكن من الصعب أن يزاح شيءٌ في قلبي من بعد ما شاهدته عيناي وأستوعبه عقلي

أخرجت هاتفي ويداي ترتجفان بحزن .. حتى يداي بدأت تظهر عليها علامات الحزن يا أيمن .. ماذا فعلت بي ؟!

- أيمن .. طلقني

ذهبت لدورة المياه وأنا أبكي بحرقة .. كادت دموعي تشعل لهيبًا من النار .. آه يا أيمن آه منك .. أخبريني هل قصرت معك بشيء .. هل تركتك وحيدًا يومًا .. هل أجبرت قلبك أن يحبني .. أخبرني أيمن لماذا فعلت هذا بي ؟!

نظرت للفتيات .. ينظرون لأنفسهم في المرآة بثقة وهم يضعون مساحيق المكياج ليلتقوا بحبيبهم لكي يتغزلوا بجمالهن .. وأنا ؟ أمسح دموعي لألتقي بصديقاتي .. لكي لا يشكو بي فقط !

أخبرتك في ذاك الصباح بأني راحلة وأتقنت التمثيل ببراعة وأنا أبكي بحضنك وأخبرك كم أتمنى أن أبقى معك في هذه الليلة " آخر يوم في السنة " وكالعادة ذهبت أنت للعمل وأنا أدعيت ذهابي للمطار ، وبالحقيقة ذهبت مع آلاء إلى السينما واستمتعت معها كثيرًا ، وفي الليل وضعت الهدايا بيدي ودخلت لمنزلي وأنا أرى حذاء عدوَّتي ..

حذاء فتاة لا أعلم من تكون .. وضحكاتكما تكاد تخرق أصداغي .. شعرت بالدوار وقلت " ربما أتوهم " فإذا بي أدخل للمنزل وأراكما تضحكان وتتهامسان بكل حب .. كانت عيناك منشغلة بفتاتك ولم تعلم بوجودي .. خرجت بهدوء تام لكي لا أزعج يومكم الجميل ! آه ..

وكل ما أريد معرفته الآن .. هل قصرت معك بشيء .. أو بالأحرى هل أرسلتني إلى كندا لتخونني .. وهل كنت تحب قبل أن تتزوجني .. ومنذ متى وأنت تخونني ؟

وفي اليوم التالي وصلتني رسالة منك وأنت تقول لي " كنت أتمنى أن ألقاكِ البارحة " عجبي على تمثيلك يا بارع !

ألقاك .. وكيف ألقاك ..

هل تريد العودة ؟ أم ألا عودة

هل تريدني ؟ أم تخدعني

وإلى متى سأصبر على غفلتي التي أعلم مصيرها ؟

وإلى متى أتظاهر بالغباء وأنا أعلم جيدًا بأني سوى لعبةٍ حطمتها بيدك

فأخبرني أرجوك .. ماذا فعلت لك ؟

هل جرحتك ؟ وأنت الذي جعلت كل أيامي مجروحة

هل أسعدتك ! نعم ، وأنت الذي لم تبادرني السعادة وأتعستني

وأتعست دنياي كلها

فإلى متى ..

إلى ما يهزل جسدي بالجراح وأودع الحياة ؟

أم إلى أنهزام قلبي لك وأخضع لك لكي تدمرني !

إلى متى ..

فقد أرهقني هذا الحب

فأنا أحبك بقلبٍ صادق وأنت تخدعني

أهل مشاعري غبية أم إني أغفل عن خياناتك ؟
أهل أنا تافهة لأحب رجلًا يمتلئ قلبه بالنساء
أم أنا سوى فتاة تائهة ..

آهٍ على فؤادي المحطم
وآهٍ على بقايا مشاعري ..
وآه ..

عدت لمسكني ورأيت قيتاره سوزان .. مسكتها وبدأت أعزف بكل ألم وأنا أغني بشجن .. :

بهجرك والقلب يتقطع آلم .. بهجرك

بهجرك والعين تبكي دم .. بهجرك

بهجرك في الليالي .. بهجرك من خيالي

بهجرك من بعد دا الحب الطويل

بهجرك والدمع من عيني يسيل

وبقية الكلمات غنيتها ببكاء ..

حينما انتهيت سمعت تصفيقًا أذهلني فسألتهن على الفور : منذ متى وأنتما هنا ؟!

- منذ فترة بسيطة .. نبراس عزفك جميل ! أنتي بارعة أكثر مني
- بالطبع فأنتي لم تتعلمي العزف على ما أعتقد ولكن عزفك جميل جدًا
- ولكن ما بها الحلوة حزينة ؟
- لا شيء .. فقط اشتقت لأمي

وما زادتني هذه العبارة إلا بؤسًا ..

الفصل الثاني عشر ..

لن اتوقف

لن أتوقف عن الكتابة ..
إلا حين ترجعين إليَّ ..
سأظل أكتب ..
على كل ورقة أمامي ..
كل شجرة ..
كل حائط ..
سأكتب على ظهر كل قطة اسمك ..
وأرسم وجهك على وجوه كل النساء
إلى أن يبكين غيرةً منكِ ..

*بدر السنعوسي

كان يبعث لي الرسائل كل يوم .. كل ساعة ، كان يسألني لماذا أريد الطلاق منه .. وكان يحكي حكايات شوقه لي ، أعتقد بأنه كان سيبث الرسائل لحبيبته وليس لي ..

لم أخبره بشيء .. كنت دائمًا ما أصده وفكرت أن أغير رقمي ولكن قررت ما أن تصلني ورقة الطلاق أغير رقمي و.. حياتي أيضًا

حينما شعرت بأن ولادتي قد اقتربت أنسحب من المعهد وعدت للديار دون علم أيمن وأبي ، أهداني أستاذي لوحة من رسوماته لأتذكره وكذلك الطلبة .. أحببتهم كثيرًا وودعتهم بلوحة كبيرة علقوها في الصف وألقيت عليهم كلمات ليكتسبوا من خبرتي .. أخبرتهم بما تعرضت من أبي وكيف مزق أوراقي الصغيرة .. أخبرتهم كيف سعيت للنجاح .. أخبرتهم كيف تعلمت الرسم من أول خطواته وكيف أصبحت ماهرة .. ورحلت !

مكثت في منزل حبيبي أمير .. أخبرتني والدته كيف كان سعيدًا بخبر تخرجي .. كان فرحًا حينما تقدك لي .. كان كلما تكلم عني تدمع عيناه حبًا وفرحًا .. كان وكان .. ولن يصبح الآن .

في تلك اللحظة لم أجد شخص أقرب لي غير نسرين ، شعرت بأنها الوحيدة التي ستتفهم وضعي ، أخبرتها لماذا أريد الطلاق منه وقالت لي : " كيف ستولد أبنتك بلا أب ؟! أجلسي معه وتفاهمي الموضوع " أخبرتها بأني لا أقوى الجلوس معه فأنفاس الخيانة ستضرب بوجهي حينما يتحدث معي .. حاولت أن أقنعها بدموعي فحسمت الموضوع بجملة واحدة : " إذا والدك وافق .. "

ذهبت لوالدي وأخبرته بأني أريد الطلاق ، كان سيضربني لو لم أكن حامل ! تناقشنا كثيرًا وتعالت أصواتنا

- والدي .. حرمتني من أمي (توسعت عينا والدي بغضب) وحرمتني من سعد أيضًا .. حرمتني من الحرية يا أبي .. أبي كلامي حق ! لا داعي أن تغضب .. لا داعي أن تضربني ، يا أبي أنت هدمت أحلامي وفرقتني عن أمير ولم أعترض ، ووافقت على الزواج من سعد .. وأنت .. ماذا فعلت لي ؟ لماذا يا أبي لا تسمعني وتوافق على قراراتي .. ألست أنا أبنتك ؟
- أختصر حديثي كله وقال : حسنًا .. تطلقي من أيمن

***

اتصلت بأيمن على عجل .. أخبرته بأني أريد الطلاق ووالدي أيضًا .. أخبرته بأن كل شي بيني وبينه قد انتهى .. وعن طفلتنا ؟ إذا أرادها يأتي لها وقت ما يشاء والمهم أن لا يقترب بجنبي !

مرت الأيام بسرعة .. وقلبي لم يحن له مطلقًا ، أخرج مع آلاء حينما ينتابني الضيق أو الملل .. نستمتع في جولتنا حول البحيرة .. نتحدث طويلًا ونختم حديثنا بذكرى لأمير

- من هو قدوتك في الرسم .. وكيف أحببته ؟
- اتخذت من أخيك نبراسًا لي .. حينما أحب شخصًا أحب كل شي يفعله .. هكذا هو الحب .

وضعت يدي على بطني وعادت هلوساتي مع أبنتي ..

أحن إليكِ ..

فإلى متى سيسرق هذا البعد ؟

لقد طال هذا البعد كثيرًا وبدأتُ أحن إليكِ

متى سأراكِ وأتلذذ بقربكِ ..

متى ستنغمس روحي بعفويتكِ وفتنتكِ ..

متى ستشبع عيني بكِ ..

متى ستستوطنين قلبي ..

يا طفلتي ..

أتعلمين بأن روحي بدأت تنتلف ..

فحقًا اشتقت لكِ

أحبك ..

في هذه الليلة لم أستطع النوم جيدًا .. بدت حركاتي تزداد والألم يوّن .. حاولت النهوض ولم أستطع فاتصلت بنسرين لتأتي لغرفتي بسرعة

- نبراس هل أنتي بخير ؟
- أرجوكِ خذيني للمستشفى .. أنا متعبة جدًا وربما حان وقت الولادة
- ربما أنها آلام بسيطة
- لا أنا متعبة كثيرًا أرجوك
- سأوقظ والدك

ساعدتني في نهوض والصعود للسيارة .. وأما والدي ؟ كان يقذف عليّ أشواك بلا رحمة

سويعات قليلة .. وآلام كثيرة .. وصراخ ونحيب و....

حينما سمعت صوت بكاءها أيقنت بأني أصبحت أم أزهار .

***

كل من أحبهم كانوا بقربي .. أما بالروح أو الجسد ، آلاء .. سوزان .. أمل .. نسرين .. وطفلتي ، ووالدي أعطاني نقود وضحكت بسخرية وقلت له بأني لا أحتاج نقوده وأرجعتها له .. فما احتاجه منه أغلى من المال.

أحببتها جدًا .. عفويتها وابتسامتها كادت تفقد لي عقلي من شدة حبي لها .. حملتها وبدأت أتحدث لها عن والدها .. وفجأة تذكرت ذكرياتي الجميلة معه ..

حقًا لم أبدي اهتمامًا عندما أن تهجرني ولكن هل تعلم بأن قلبي اشتعل نار منذ آنذاك إلى هذا اليوم .. وهل تعلم بأني أصبحت عديمة إحساس ؟ كله بسببك .. نعم أنت السبب .. فقد أعطيتك كل الإحساس وبثانية اختفى هذا الإحساس حينما رأيت الخيانة أمامي ..

لا أعلم ما الوسيلة لأصل لقلبك وأعرف خفاياه ، فربما سأعلم بأنا حبنا كان وهم وأنك لم تحبني يومًا

بقدر حبي لك أوجعتني .. صدمتني .. خيبت أملي

أيها العاشق ..

يا ترى أين تختبئ هذه المرة ؟

في قلبي .. أم عقلي ؟

ولكنك خرجت من قلبي

إذن .. أنك في عقلي

نعم .. فحبك أسطورة أفكر بها مرارًا وتكرارًا

فحبك جعلني أندم على كل لحظه مررنا بها

لأنك الآن رحلت .. ابتعدت .. غادرت عن عالمي

أ تذكر حينما رفضتك ؟ رفضت علاقتنا .. رفضت أن نكون عاشقان .. فللعشق عواقب عديدة وكنت أؤمن بها

ولكنك أصررت أن تكون في قلبي

و ها أنت الآن .. غير مبالي عما سببته لي من ألم وحرقة

غير مبالي عما فعلته في علاقتنا .. كسرت فؤادي .. حطمت أشلائي .. أتعستني وأتعست دنياي كلها

كنت أحبك .. أو ربما إلى هذه اللحظة ما زلت أحبك

كنت مغرمة بك .. كنت لا أنام إلا وذكراك يحوم حولي

كنت لا تفارق عقلي .. ومازلت لا تفارقه

جعلتني أسيرة من بعد ما تركتني ..

جعلتني أسير وحدي لطيلة عمري ، فمن سيكون بجانبي الآن ؟

لأخبرك عن ما بداخلي :

ألم يستوطن قلبي ولكن لا أتألم !

تعب وانكسار ولكن لا أهتم !

طفلتي .. ستغير حياتي وسأنساك تمامًا ..

أعلم بأن كلامي كثير التناقض .. فتارة أحتاجك وتارة لا أريدك .. وأريدك وأنا التي ابتعدت عنك .. ولكن كل ما يحدث بسببك أنت

صوت من الخلف عاد إحساسي من جديد وحطم قلبي بأنفاسه الخائنة

- اشتقت لك .. أنتي تريديني فلماذا طلبتي مني الطلاق وجعلتِ والدك يضغط عليّ ؟
- لا أريد أن تتأثر أبي بوالدها وتصبح خائنة مثله
- خيانة ؟! ماذا تقصدين
- أيمن لا داعي للتمثيل والتظاهر بعدم الفهم .. لقد رأيتك مع فتاة في منزلي .. لقد رأيت قميص نوم فوق سريري .. لقد سمعت

صوتك مع فتاة في أرجاء غرفتي .. لا داعي للتمثيل يا أيمن .. لو سمحت أرحل ولا تأتي لي .. لا أريد رؤيتك ولا سماع صوتك

علامات ذهول قد ظهرت في تقاسيم وجهه وصدمة تعلوها صدمة .. وانسحب بدون أن ينطق بحرف واحد .. بالطبع لن ينطق فماذا سيقول مثلًا ؟!

فتاة غيري لبكت على حضن معشقوها وتوسلت له لإعادة بناء علاقتهما ولكنِ لست مثلهن .

أنا فتاة غُرست فيني صفة لا تُغرس لأي فتاة – الكبرياء – ، فهو من سيوقفني لأحافظ على كرامتي

أنا حقًا أحتاجه .. ولكن احتياجي له لا يفسر ضعفي .. أحتاجه لينفطم قلبي عن البكاء .. أحتاجه لطفلتي اليتيمة ..

ولكن لن أخدش كبريائي لأجله .. لن أحطم كرامتي لأجله .

وأتوسل لك يا قلبي أن تغفو عنه .. فهو من حطمك واستباحك وأيقظ من السعادة لواقع لا يليق بك ..

فكلا يا قلبي لا تنحني له ! قف وأستدر وأختر الصواب وأعلم جيدًا بأن طريقي هو الصواب ..

فأمضي يا قلبي معي ولننسى ماضينا معًا ..

فلنمضي ..

الفصل الثالث عشر ..

إلى زهرتي / وردتي

إلى أجمل طفلة رأيتها

طفلة بقلب صادق ووفي

قلب بدون خيانة ونفاق وغدر

قلب حنون يحب الخير للناس

أحبها ..

أحبها كثيرًا

وأعشق نظرات عينها الفاتنة

أصرت عليّ أم آلاء أن أبقى في منزلهم أثناء فترة النفاس .. حينما دخلت غرفة أمير سكبت عيني أقداحًا من الماء فاكتفت .. آهات أخرجتها حنجرتي ألمًا فتعبت .. أسترجع عقلي جميع الذكريات فهلكت

هنا .. ذهبت روحه وضاعت روحي أنا

هنا .. تناثرت أحزاني وضعت أنا

هنا .. ضحكنا وبكينا معًا

هنا .. مات أمير !

وبكيت ..

بقيت مع أم آلاء لمدة شهرين .. استمتعت معها كثيرًا ، وحتى والدها كان طيب القلب .. أو ربما أصبح هكذا من بعد ما حدث لأبنه وتغير حاله ..

أحسست بشيء تحت الوسادة .. وحينما رفعته وجت رسالة باسمي من أمير !

- حبيبتي ،
حينما أغيب عن حياتك أريد أن تعلمي جيدًا بأني في كل ثانية تمر بحياتي أعشقك أكثر وأكثر ..
حبيبتي ،
حينما تسلكي طريقك وأسلك أنا طريقي أريدك أن تعلمين بأني لن أنساك مهما طالت المسافة بيننا " فمسافة قلوبنا قصيرة جدًا "

أشعر بك وتشعرين بي .. نحب بعضنا كثيرًا .. ولكن القدر يجبرنا على الابتعاد
ولكن لا أحد قادر على محو أسمائنا وذكرانا من ذاكرتنا
لأننا .. روح واحدة !
حبيبتي ،
حينما تقرئين هذه الكلمات أعلمي جيدًا بأنك في قلبي ولن تترنحي منه ما دمت حيًا
وإذا كنت في السماوات السبع أعلمي بأني أنتظرك .. فربما يكون لقائنا في الجنة بأذن الله

آه يا أمير .. أتعلم حينما أنوي أن أفكر بك أفر من جميع البشر لألجئ لذكرياتنا بهدوء تام

فأتذكر كل بسمة حكيناها وكل دمعة رويناها وأتذكر كل مرة التقينا فيها ..

***

حينما تنام طفلتي أشاهد بعض الأفلام الممتعة مع آلاء ونشاهد ألبوم الصور حينما كنا صغارًا ونتذكر تفاصيل طفولتنا في هذا الحيّ الجميل ..

- آلاء .. ما هو جديدك ؟
- أصبحت أحب الكتابة كثيرًا
- أقري لي شيء من كتاباتك
- حسنًا ..

" لأنسى الكون وما فيه
لكي أعيش بسعادة
دون اهتمام لحزن يجتاح قلبي
ولعواصف البكاء الشجي
لا أريد للأمل أن يتسرب من قلبي
فبهذا الأمل صنعتُ سعادتي
وقويتُ نفسي أمام الصعاب
وانتشلت الخوف والألم من أعماقِ "

- أعجبني كثيرًا .. أنتي مبدعة
- تريدين المزيد ؟
- نعم .. أحب أن أقرأ النصوص التي تعطيني دافع للأمل
- حسنًا .. سأعطيك دفتري وأقري عندما تريدين ذلك ، لا تنسي أن تخبريني عن رأيك وانتقاداتك
- بالطبع .. ومن الآن أنا متأكدة بأنها رائعة

***

كبرت طفلتي أمام عيني بضحكتها الجميلة .. تتلاعب هنا وهناك وتفقد لي أعصابي .. تحرك شفتاها بعفوية لتنطق " ماما " وكالعادة تفشل وتخرج حروف لتكوّن لنا طلاسم ..

في فترة مكوثي في منزل والد آلاء كنت أرسم في يوم أكثر من لوحة .. وكنت مقررة حينما تصل عدد لوحاتي الخمسين أفتح معرض

خاص بي ، شجعتني والدة آلاء وعيناها ممتلئ بالدموع : كان هذا حلم أمير

لا أعلم كيف تحملت النوم على سرير أمير .. لن أقول بأني كنت حزينة .. كنت سعيدة لأني شعرت بروحه بجنبي ، شاهدت جميع ذكرياتنا هنا .. وفاض الحنين بي .

تذكرت موعد حفلة زواج صديقتي " أمل " وطلبت من أم آلاء أن تهتم لابنتي ريثما أعود من الحفلة ، خرجت مع آلاء لنشتري فستان يليق بنا .. اشتريت فستان أبيض من دانتيل وآلاء أخذت لها فستان بلون الأحمر ، ذهبنا للصالون وسرحنا شعرنا ووضعت ما يتناسب من المكياج في بشرتنا الصافية .. بدونا جميلتان !

ذهبنا للحفلة وجميع الأنظار تلتفت حولنا بإعجاب .. استمتعنا كثيرًا والتقطنا العديد من الصور التذكارية مع سوزان ..

حينما تعالت الموسيقى " بعزف سوزان " ودخلت أمل ممسكة بيد زوجها .. تذكرت حفلتي كيف كانت .. ولكن بسرعة تداركت الذكرى وابتسمت بفرح .. في ختام الحفلة تمنينا لأمل حياة جميلة كلها أمل وهناء ..

حينما عدنا للمنزل تحدثنا عن الحفلة وكنا سعيدتين جدًا .. ذهبت لابنتي بشوق ولعبت معها وغنيّت لها لتنام ..

فتحت الدفتر الذي أعطتني إياه آلاء وبدأت استمتعت بالقراءة ، ولكن خاطرة واحدة جعلتني أعيد قراءتها عشرات المرات لحين ما أيقنت بأنها تقصدني :

{ إهداء }
إلى من سلبت روحي إليها ..
وعشقتها بجنون وإحساس رائع كان يصاحبني دائمًا عندما أتحدث معها ..
إلى من سلبت قلبي الضعيف لها وبدأت تمزقه بغيابها عني ..
وجعلته أسيرٌ بحبها متيمٌ بهواها .. معذبٌ بقلبها
إلى تلك الكتلة من السعادة الذي تحولت بثانية إلى تعاسة وأتعستني معها
إليها فقط .. وجع قلبي .. وسر عبوسي !

فقررت بعدها أن أسعدها بأي طريقة .. أعلم بأني لست متعمدة بجرحي لها عندما تركتها ولكني مذنبة عما فعلت ..

في اليوم التالي طلبت منها أن تأتي معي للمجمع لأشتري ما ينقصني من أدوات الرسم .. وأيضًا طلبت من أمها أن تأتي معنا

طلبت من آلاء أن تختار لي فستان وإكسسوارات .. وطلبت من أمها أن تختار لي كل شي يوجد بالمطبخ ، وثم قضينا وقت ممتعًا ونحن نتناول وجبة الغداء .. ولكن طفلتي أتعبتني قليلًا ببكائها

وحينما انتهينا رجعنا للمنزل .. وكل اختياراتهم أعطيتها إياهم كهدية مغلفة بالحب

أيمن .. لم يسأل عني قط .. وحتى نسى أبنته ، ونسيته أنا نوعًا ما ..

***

ومرت السنين .. وأصبح لأبي طفلة صغيرة تدعى " جميلة " تعلق بها وأحبها بصدق .. حينما خرجت من الدنيا أقام حفلة كبيرة في منزله ، كان يترك العمل حينما تتعب أبنته ويسهر الليل معها حينما تمرض .. يلبي جميع طلباتها .. كان يفعل معي هكذا أيضًا .. ولكن إذا كبرت أبنته هل سيتركها مثل ما تركني ؟ هل سيبعد عنها أمها مثل ما أبعد عني أمي .. وأخي أيضًا

ولكن .. في يوم مولدها الثاني ؟ رحل عن الدنيا ..!

الفصل الرابع عشر ..

وكيف لك يا أبتي أن ترحل دون أخباري عن أمي ؟

قررت أن أقيم في فندق ما .. فكانت آلاء تأتي لي بين فترة وفترة وبيدها طبق من صنع والدتها

طلبت منها أن تنام معي اليوم فالغد يومٌ مميز لي والآن أنا متوترة جدًا ، فغدًا سوف يفتتح معرضي الخاص وستأتي الصحافة من كل جانب وناس كثيرون .. لست متعودة على هذه الأجواء ، هدأتني واتصلت بأمها طالبة منها الموافقة فوافقت على الفور .. جعلتها ترى بعض لوحات التي سآخذها للمعرض

- لو كان أمير هنا سيفتخر بك كثيرًا

وقلت في نفسي : " لو كان أمير هنا لشاركني سعادتي " بدء الوقت يمر سريعًا .. أرسلت رسالة لنسرين لأخبرها بأمر المعرض وودعتني بأنها ستكون أول الحاضرين في المعرض

حل علينا الصباح بزقزقة العصافير .. تمددت أشعة الشمس لتصل إلى داري ، قمت بنشاط وجهزت نفسي ولبست ثوبًا يجعلني أنيقة ، طلبت من آلاء أن تلتقط لي صورًا ، صعدنا للسيارة ومررنا على والدة آلاء وثم اتجهنا للمعرض ، قبلت طفلتي بشغف وحينما دخلت للقاعة انصدمت من عدد الناس ! والصدمة كبيرة بأن أستاذي من كندا كان حاضر وبعض الطلبة موجودين ! أغرقت عيني بالدموع فرحًا .. تقدمت بكل فخر وأنا ألقي كلماتي للمستمعين وأشكر كل من كان يعطيني دافع لأستمر في تحقيق حلمي .. وأخبرتهم .. :

- كلنا لدينا أحلام وبالطبع نفشل في المرة الأولى والثانية ، ولكن لا تدعوا هذا الفشل يوقف حلمكم

كلنا كبشر من غريب أن لا نفشل ، أنا كنت أرسم خطوط عوجاء وثم سطرتها لأكوّن خطوط مستقيمة .. رسمت رسومات جميلة وتمزقت ، ولكن هل يئست ؟ بالطبع لا ، كل يوم أرسم أفضل من السابق إلى حين ما أصبحت مبدعة في الرسم وها هي رسوماتي ترونها أمامكم وأتمنى أن تنال إعجابكم

وقلت الكثير والكثير ، قصصت الخيط الأحمر بشموخ وفخر بنفسي ! ومشيت بكل ثقة لأصور مع كل من أراد تصويري قرب لوحاتي ..

وهل للحلم أن لا يتحقق ؟

***

في اليوم التالي استيقظت والجريدة تقف فوق طاولتي تنتظرني أن أفتحها لأعرف ما كتب عني .. كل كلمة أقرأها يتراقص قلبي فرحًا وتدمع عيناي فخرًا ..

قاطعني صوت رنين هاتفي من قراءة ما تبقى من الأسطر .. أنها نسرين تتصل :

- مرحبًا نسرين
- نبراس لن أطيل الحديث معكِ .. ولكن والدك يحتضر أتمنى أن تأتي على الفور

سقط هاتفي بفزع ويدي انقبضت على قلبي بخوف .. جريت لسيارتي بهلع دون اكتراث لبكاء أبنتي !

كنت أظنها تتصل لي لتعتذر عن عدم حضورها للمعرض بالأمس .. دقات قلبي كانت ستتوقف وأنا في وسط الزحام عالقة

وما من وصلت إلى منزل والدي وأنا أركض ودموعي تسابقني في الجري .. بكائي زاد شيئًا فشيئًا .. وآهات لم تتوقف إلا حينما رأيت والدي في السرير يبكي بدموع المغفرة

- نبراس أرجوك سامحيني عما فعلته لك .. أخبري أمك أن تسامحني .. أخبري سعد
- أمي .. أمي ؟ ولكن أين أمي !
- أمك .....

وآه على روح غادرت لباريها ..

حاولت تمالك نفسي ونزلت لطفلته اليتيمة

- أين والدي ؟ لقد وعدني بأنه سيقيم لي حفلة كبيرة في هذه الليلة
- حبيبتي والدك مسافر .. ما رأيك أن تنامي اليوم معي ؟ سأشتري لك كعكة لذيذة بالشوكولاتة !
- نعم سآتي ولكن بشرط
- وما هو يا مدللة ؟
- أريد هدية
- من عيوني

جعلتها تركب السيارة وذهبت أنا لتقبيل رأس أبي وقبل أن أغادر أعطتني نسرين ملف باللون الأزرق لم أسألها ما يوجد به .. فكانت مشاعري مرهقة جدًا

***

لم أستطع الذهاب للعزاء فكانت نسرين متعبة جدًا ولا تريد أن تعلم أبنتها بشيء فضللت أكذب على أبنتها وأخبرها بأنهما مسافران و ... ألخ .

حينما علموا صديقاتي بخبر وفاة والدي أتوا لي الفندق وعزوّني ، شاركتهم طفولتي مع والدي وذكرياتي الجميلة معه .. بكيت بحضنهم وواسوني قدر المستطاع

أخاف كثيرًا أن تصبح أبنتي مثلي .. بلا أب ، وربما تُحرم من الحب والفشل في الزواج مثلي .. آه

والدي .. خبر وفاتك كان صاعقة ، والدي كيف رحلت عني دون احتضانك لي وفخرك بي .. كيف .. كيف ؟..

بعد انتهاء من العزاء شكرتني نسرين على سماح ببقاء أبنتها معي آنذاك وحينما رأتها أبنتها ركضت ناحيتها بلهفة وسألتها : أين والدي ؟

وأنفتح جرح كان سيزول .. وبدءنا بالبكاء من جديد .

الفصل الخامس عشر ..

عشقي له ما له نهاية ولا آخر ..

كانت الصحافة دائمة الاتصال بي .. وروحي قابعة بجسدي بلا أحساس .. أصبحت متبلدة بعد ما حدث لي من آلام وأوجاع

رحل عني أمير وسعد .. توفى أمير وأبي .. رحل عني أيمن وطلقني .. وإلى هذا الأوان لا أعلم أين سعد وأمي .. آه يا أمي

طفلتي دائمة البكاء لا أستطيع أن أسكتها ..

أذ لم أستطع أن أخفف وجعي كيف لي أن أخفف وجع غيري ؟

قمت بتكاسل لابنتي وهدأتها ببعض من اللعب الصغيرة .. دموع كثيرة أهدرتها في غياب والدي .. على رغم بأنه لم يشعرني بحنان .. على رغم من الجروح التي بقلبي منه .. رغم كل شي قلبي يحب أبي ومتمسك به

فالأب لا يعوض .. فحينما يرحل الأب يطلق على أبنته " يتيمة "

حاولت أن أغير أفكاري وابدأ ببرنامج يعيد روحي للحياة مرة أخرى .. فروحي أنتلفت من موت أمير .. وها قد أنتلفت بموت والدي .. وما هو الجديد ؟

اتصلت على آلاء لنخرج قليلاً فاعتذرت مني لأنها مشغولة بزيارة أقربائها .. نظرت لطفلتي : " ومن غيرك يا زهرتي سيغير حياتي للأفضل ؟ " خرجت معها للحديقة وحاولت تدريبها على المشي فكانت خائفة كل ما أترك يدها وتبدأ بالبكاء فأحضنها لتهدأ

عدت للمنزل حينما شعرت بالتعب .. لمحت بالصدفة ذاك الملف الذي أعطتني إياه نسرين .. بالتأكيد أنه يتعلق بوالدي .. لا أريد أن أفتحه فروحي هلكت وعيني تعبت ولا أريد حزن آخر

طرقات متتالية على بابي جعلتني أفتح الباب بذهول ..

- وهل للحب أن يغتفر ؟ سامحيني يا نبراس صدقيني بأني نادم على خطيئتي .. سأعترف لك بكل شي ولكن أعطيني الفرصة ، نبراس والله يعلم محبتي ومعزتي لك .. عودي لي .. نبراس

من هول الصدمة لم أجد جوابًا مناسبًا وبقيت صامتة .. لماذا عاد بعد تلك السنين ؟ بكاء طفلتي خلفي جعله يقتحم داري ويحتضنها بكل شوق وحب

وطفلتي ؟ إحساسها كان يقول لها بأن هذا هو والدك ! كانت تنظر له بكل براءة وهي تضحك وتلعب بشعره الطويل .. دموعي سقطت بكل ألم على قلبي : لماذا عدت ؟ ماذا تريد مني ؟

- نبراس لقد عرفت غلطتي جيدًا وأنا مستعد أن أخبرك بكل شيء .. أنا أخطأت بحقك كثيرًا ولا بأس لو رفضتِ الزواج بي .. ولكن أرجوك سامحيني

والتزمت الصمت مرة أخرى .. جلس مع أبنتي ولعب معها ورأيت في عينيه الندم والشوق في آن واحد ، آه يا أيمن

وفي هذه اللحظة لا أعلم لماذا نظرت للملف مرة أخرى .. وكأنه ينطق ويقول لي : " افتحيني ! " ناديت أيمن وأخبرته عن الملف وطلبت منه أن يقرأ ما بداخله وإذا كان محزن لا يخبرني ..

كان يقرأ وأعصابي تتوتر أكثر مع تقليب صفحات الملف ، نظر لي بصمت ثم طلب مني أن أقف أمامه ، وقفت بكل صدمة وسألته : ماذا يجري ؟

- أعلم بأني محرم عليك الآن .. وأعلم إذا علمت بمحتوى الملف ستصبحين سعيدة ..وتحتاجين لشخص يحس بك ويضمك .. وآسف (وضمني بكل لهفه لصدره) هيا حبيبتي أستعدي يجب أن نذهب لأمك فهي تنتظرك !

لأخبركم ما حدث ..

والدي .. عصبي ومتشدد جدًا .. كلمته لا تثنى ولا تنكسر ، يمشي على عادات وتقاليد عائلته ، لا عمل ولا سياقة للفتيات والحريم !

وكانت والدتي تتمنى أن تعمل ووالدي يرفض ويغضب عليها ، كذبت عليه والدتي وأخبرته بأنها ستشترك بنادي للياقة البدنية ووافق على الفور لأنه يثق بها كثيرًا .. أو بالأحرى والدي يحب أمي ويلبي جميع طلباتها

ولكن أمي كانت تذهب للحفلات .. كانت أمي منظمة للحفلات .. كانت تستمع كثيرًا وتفرح حينما يمدحها الناس ويقولون بأن عملها رائع ومميز ، اشتهرت بأفضل منظمة حتى صارت الناس دائمًا تتصل لها لكي تذهب لحفلاتهم وتنظم .. ومرة !

ذهبت لحفلة بها خمور والعياذ بالله .. كانت ستخرج ورفضت أن تنظم هذه الحفلة فوالدتي شريفة جدًا .. ولكن رفضوا أن تخرج وأخبروها بأن هذه الحفلة مهمة بالنسبة لهم ..

وحضر والدي هذه الحفلة ! ورأى والدتي هناك

ولكن .. والدي لماذا ذهب ؟ لماذا يعاقب والدتي وهو المذنب !

لم يسمح لها أن تبرر شي ووصفها بأبشع الكلمات .. وحرمها منا ! أبعدها عنا ! لتتعذب وحدها في " الأمارات " !

وما ذنبنا نحن يا والدي .. كيف تحرمنا من أمنا لسنوات ؟

سمح لسعد أن يذهب لأمه وتبقى معه .. ولماذا لم يسمح لي ؟ بأي حق يفعل بي هذا ؟

وما فائدة هذه الأسئلة ووالدي قد رحل ولن يعود ..

وكان هناك ورقة في الملف بها تاريخ طلاق والداي ، وورقة بها موقع أمي مع سعد

لا أعرف كيف حدث كل هذا .. لا أعرف كيف ضعف قلبي واستسلمت لأيمن بسرعة البرق ..

في الطائرة .. كان أيمن يضغط يدي كلما انزلقت دمعة من عيني ، أسندت رأسي على كتفه ليشعرني بالأمان .. ولكني خائفة منه !

صارحني بكل شيء .. فرت دمعة ندم من عينيه ، ميزتها بين الندم والتمثيل .. توسل لي أن نبقى مع بعض لأجل طفلتنا لكي لا تحس بالنقص في الكبر ، وعدني بأنه سيصارحني بكل شي يحدث له

- أخاف .. أخاف أن لا تتذكرني أمي
- من المستحيل أن لا تتذكرك ، على الفكرة تحدثت مع سعد وكنت سأجعلها مفاجئة ولكني لا أحب المفاجئات كما تعلمين
- حقًا ! وكيف ؟ وماذا قال ؟ هل هو بخير ؟ هل أمي كانت معه ؟
- أجوبتي سترينها بعد قليل

حينما هبطت الطائرة نزلت بتوتر فضيع ، لا أعلم من ماذا ولكني متوترة جدًا

مسك أيمن يدي وأبتسم .. وذهبنا للمجمع !

- أيمن هل أنت مجنون ؟ أريد الذهاب لأمي وأنت تأخذني للمجمع ؟ ماذا دهاك !
- التزمي الصمت وأشتري فستان يليق بجمالك

- أف يا أيمن !

دخل إلى محل وأشترى لي فستانًا بكل برود ! وأنا واقفة على أعصابي وكدت أصرخ أمام الجميع لو لا وجود أبنتي .. لا أريد أخافتها فقط !

ثم ذهبنا لفندق وطلب مني أن أرتاح لدقائق فقط ..

وخرج هو وبقيت مع أبنتي .. انتظرت لبرهة و ....

- نبراس .. حبيبتي !
- سعد !

والتقت قلوب الأحبة ..

ضمني لصدرك يا أخي لعلى دقات قلبك ستعيد لي روحي التالفة .. ضمني بشدة لصدرك يا أخي لعلى هواك سيشفي جروحي .. ضمني يا أخي .. ضمني

- أين أمي ؟
- نبراس .. أمك بصحة جيدة .. ويوم ستقام حفلة مهمة بالنسبة لها ، ألا تريدين مفاجئتها ؟

لا أعلم كيف أصف لكم شعوري اليوم .. جهزت نفسي وارتديت الفستان الذي اشتراه أيمن .. تمسكت بيد سعد بقوة وكلما أنظر لعيناه أبكي وأقول له : اشتقت لك

لما ابتعدت عني ضاقت الدنيا بعيني ..

دخلت للحفلة ..

آه يا أمي .. آه

- أمي

ألتفت بكل غرابة تريد معرفة مصدر الصوت .. نظرت لعيني ودار بين عينانا حديث لم يفهمهم غيرنا ..

تقدمنا بكل لهفه وحضنا بعضنا .. وبكينا .. وبكينا .. وبكينا !

- حرمك والدك مني .. أبعدك عني .. ولكن كل يوم أفكر بك .. أبنتي .. نبراس

لم أتحمل أكثر وبكيت بكل حرقة .. أبتعد عنها وأقبلها وثم أضمها من جديد ودموعي كادت تحرق قلب أمي .. آه يا أمي

بكيت وبكيت حتى جفت دموعي .. لم تذبل روحي ، بل عادت روحي للحياة ..

ابتعدت أمي عني لترى طفلتي .. وأكملت بكائي في حضن سعد ..

- هذا زوجك ؟
- عما قريب سيصبح زوجي !

نظروا لي باستفهام : قصة طويلة !

أخبرتهم بكل شيء .. أخبرتهم كيف ابتعدنا ولماذا .. وأحببت أن أغير الموضوع فبدت أتحدث عن انجازاتي وكيف أن حلمي تحقق

ومن جديد ؟ بكت أمي مفتخرةً بي ..

أمي .. أتذكرين تلك اللحظات الليلية ؟ حينما تنسدل خصلات شعري على حضنك وتمسحينها بكل حنان وتخبريني بتلك القصص الجميلة ،

وحينما تغفو عيناي في حضنك ، استيقظ في الصباح فأجد نفسي في غرفتي مغطاة جيدًا كي لا أبرد

أتذكرين يا أمي حينما أحلم تلك الأحلام المخيفة ماذا أفعل ؟ أركض لدارك لكي أدس رأسي في ثنايا صدرك وأسرق منك الحنان والأمان

فوجودك جانبي يعطيني الأمان

أمي .. أحبك

وفي تلك الليلة ؟ نمت على حضن أمي وأنا أسرد لها تفاصيل أيامي في رحيلها .. وهي تحكي لي تفاصيل عذابها بغيابها عنا

وغفت عيون أمي وأنا أمسح على شعرها وأردد : أحبك يا أمي !

الفصل السادس عشر ..

كلنا نخطئ ..ونخون أيضًا ، ليس هناك شخص لم يذنب ، وكذلك أيمن .. خان ثم ندم وتاب عما فعله ، ربما بعضكم معترض ويقول : لماذا نبراس رجعت له بعد هذه الخيانة ؟ وهي لم تفعل له شيئًا . ولكن إذا لم يرجعا إلى بعضهما ماذا سوف يكون مصير طفلتهم ؟ بأي ذنب ستحرم من أمان والدها ؟ يجب التضحية في العلاقات والتخلي عن الكبرياء وعزة النفس . ونبراس .. لماذا لا نسامحه ؟ إذا كان رب العالمين يسامح فهي لماذا لا تسامح ؟ أما أيمن .. خان وتاب وها هو نادم على ما فعله بقلب نبراس ، حينما ابتعدت عنه عرف قيمتها وخطيئته الكبيرة .

والد نبراس .. رجل بكبرياء كبير، صحيح أنه أخطأ حينما نوى معاقبة زوجته وأبعدها عن أعز ما تملك ـ أطفالها ـ ولكن بالنسبة له أفضل عقاب لها لأنها لم تطعه ، هو يحبها ولكم كبرياءه يمنعه من المغفرة لها.

كتبت الرواية وكان عمري خمسة عشر سنة

لطالما حلمت أن أصبح كاتبة .. وها قد تحقق حلمي

ربما .. انتقاداتكم لي ستساعدني في تطور من أسلوبي وأفكاري

وشكرًا لكل قارئ يمسك الآن كتابي ويتصفح به ..

شكرًا لكل شخص أهداني دافعًا لإكمال روايتي.

المخرج

عندما تنام كل العيون تظل عيون الحب وحدها ساهرة

غوتة

تمت ..

2015/2/3